المكتبة
العالمية

مغامرات ارسين لوبين

٣

الخدعة الشيطانية

ترجمة :
كمال
أمين



مغامرات ارسين لوبين

الخدعة الشيطانية

لغز جنائي غريب حافل بأعجب المفاجآت

للكاتب الفرنسي الكبير

موريس لبلان



الخدعة الشيطانية

رقم الايداع بدار الكتب ٣٢٦٧ / ٨٧
ترقيم دولى ٦ - ٦ ٠٠ - ٢٨٦ - ٩٧٧

القسم الثالث

الجواهر المسروقة



انتهى أرسين لوبين من تناول طعامه فى « مطعم آرنو » . . ثم أشعل لفافة تبغ . . وانهمك فى قراءة صحيفته المفضلة .

وبعد لحظات وضع الصحيفة جانبا . . ونظر إلى جواره . . ولم يتمالك من الابتسام .

كانت هناك فتاة حسناء . . تجلس إلى المائدة القريبة منه . . تحاول التفاهم مع ساقى المطعم . . وهو لا يستطيع أن يفهم عباراتها الفرنسية الركيكة التى كانت تنطقها بلكنة أجنبية واضحة .

وشعرت الفتاة بعجزها عن التفاهم مع الساقى . . فنظرت حولها . . وفى وجهها مزيج من الحرج واليأس . . ثم تعلقت عينـاهـا بعينى لوبـين لحظة جعلته يحس بأنها تستنجد به . . وتدعوه إلى التدخل .

وفهم مرادها . . فالتفت إلى الساقى . . وقال له بلغة فرنسية سليمة :

ـ اسمع يابوزيل . . ان الآنسة تريد خليطا من النبيذ الجيد والفرموت مع قطعة صغيرة من الليمون .

فأحنى الساقى رأسه . . وأسرع ليلبى الطلب . . ثم عاد بعـد قليل . . ووضع أمام الفتاة قدحا تناولته . . ورفعته إلى فمهـا فى حذر . . وتـذوقتـه على مهـل . . ثم قلبت شفتيهـا باشمئزاز . . فازدادت ابتسامة لوبين اتساعا .

قالت له الفتاة بالإنجليزية :

ـ ليتنى أتكلم الفرنسية مثلك . . لكى أقول لهذا الساقى كلاما مؤلما . . قاسيا . . ولا يسر من يعمل فى مهنته .

فضحك لوبين . . وقال لها :

ـ ان أغلب العـاملين بالمـطاعم والفنـادق قلما يأتـونـك بما تريدين . . باستثناء مطاعم « لندن » و « واشنطون » .

ثم أردف بعد صمت قصير :

ـ هل تجدين صعوبة فى التفاهم مع الباريسيين ؟

فأجابت باسمة :

ـ لقد رأيت بعينيك مثلا من أمثلة هذا التفاهم . . وبهذه المناسبة . . لقد لاحظت انك تتكلم اللغة الانجليزية بطلاقة واتقان . . مع انك فرنسى !!

فقال لوبين فى تواضع :

ـ هذا صحيح . . فأنا أعتبر نفسى رجلا دوليا أتكلم لغات عديدة كما يتكلمها أهلها .

فسألته فى فضول :

ـ هل سبق لك الذهاب إلى « انجلترا » و « امريكا » ؟

فابتسم لوبين . . وقال فى شىء من الأسى :

ـ ليتنى أعرف مكانا لم أذهب إليه .

فنظرت إليه طويلا . . والتقت عيونهما مرة أخرى .

وسادت بينهما فترة من الصمت . . بددتها الفتاة بقولها :

ـ اننى أدعى هيلين . . فما اسمك ؟

ـ لا روش . . بيير لاروش .

ـ حسنا يا مسيو لاروش . . أخبرنى بحق السماء أين تستطيع فتاة مثلى أن تقضى سهرتها . . وهى توشك أن تقدم على مغامرة إذا فشلت فيها . . فلن يكون فى مقدورها بعد ذلك أن تختار المكان الذى تتوق إلى الذهاب إليه . . أريد سهرة تترك فى النفس أثرا لا يمحى ولا يزول حتى آخر العمر .

فتفحصها لوبين بعينيه . . وفكر لحظة . . ثم أجابها قائلا :

ـ ان « باريس » كلها تحت تصرفك . . فهل تريدين قضاء السهرة فى أحد الأندية الليلية . . أم فى مكان آخر ؟ !

ـ أيهما تفضل ؟

ـ أنا شخصيا أقترح قضاء سهرة ممتعة فى مطعم هادىء بشارع سان لورانس أشتهر بأطعمته الانجليزية اللذيذة . . ثم نرى ما سوف يكون بعد ذلك .

ـ هذا بديع . . أنا موافقة على اقتراحك .

* * *

ونادى لوبين الساقى . . ودفع له الحساب . . بينما حملت الفتاة حقيبتها . . وقفازها . . ولحقت به . . وخرجت معه . . إلى حيث كانت سيارتها تقف أمام باب المطعم .

وقالت الفتاة :

ـ ان لدي فرصة من الوقت حتى منتصف الليل .

وخلعت قبعتها . . ومددت ساقيها على مسند السيارة فبدت أكثر فتنة . . وجاذبية .

سألها لوبين :

ـ هيلين . . وماذا بعد منتصف الليل ؟ ألا تتركين لى فردة حذاء على سبيل الذكرى ؟

فأجابته ضاحكة :

- بل سأترك لك الحذاء كله .. لأن هناك منزلا يجب أن أسطو عليه !!

***

كان العشاء رائعا .. شهيا .

وقد اعترفت هيلين بأنها لم تتذوق فى « باريس » كلها طعاما فى مثل جودته .. ومذاقه .. ولذته .

ثم طلبت منه لفافة تبغ أشعلتها بعود الثقاب الذى قدمه لها .. ونظرت إليه فى شىء من عدم الكلفة .. وكأنها تعرفه منذ سنين طويلة .. ولم تلبث أن قالت له :

- لقد سرتنى مقابلتك يا مسيو لاروش .. فأنت تواجه الأمور فى هدوء .. ولا تحب أن تلقى بأسئلة محرجة .. أو استفسارات فضولية .. مما يدل على انك رجل عملى .. واقعى .

فابتسم لوبين ابتسامة عريضة .

كان قد اعتاد أن يسمع كثيرا عن نفسه مثل هذا النوع من الاطراء .

قال لها موضحا :

- نحن معشر المغامرين قلما نفقد هدوء أعصابنا .. واتزان عقلنا .. أما عن الاسئلة المحرجة .. فيمكن إلقاء الكثير منها فيما بعد .

فنفثت من فمها خيطا رفيعا من الدخان . . وظلت ترقبه وهو يتصاعد نحو السقف . . ثم قالت فى هدوء :

ـ سوف أتحدث إليك بكل صراحة يامسيو لاروش . . أغلب النساء يحببن الثرثرة . . وما أحلى الثرثرة فى مثل هذه الليلة التى يبدو كل شىء فيها كأنه حلم من الأحلام .

فضحك لوبين . . وسألها :

ـ حسنا . . من هو اذن الوحش الذى ستفتكين به هذه الليلة ؟

ـ انه أحد الذئاب التى تظهر للمجتمع فى ثياب الحملان . . هل سمعت عن بول تويد ؟

فهز لوبين رأسه وقال :

ـ نعم . . لقد سمعت عن بول تويد . . بل كان يعرف الكثير عنه . . وعن أمثاله ممن حصلوا على ثروات هائلة خلال الحرب بأساليب ملتوية . . ووسائل مشبوهة .

لقد جمع تويد ثروة طائلة من توريد الأحذية إلى جنود الحلفاء بثلاثة أمثال ثمنها الحقيقى . . واصبح بفضل هذه « الخدمة الوطنية » من كبار الأغنياء . . ولا تزال فروع مؤسسته تعمل فى جميع العواصم الأوربية والامريكية . . أما هو نفسه . . فانه تقاعد . . وترك الاشراف على أعماله الكثيرة للعنصر النسائى فى أسرته التى لا يوجد فيها ذكور على الاطلاق .

قال لوبين أخيراً :

ـ نعم . . انني سمعت عن تويد . . انــه أحـد أقـطاب الصناعة فى العالم .

فقالت الفتاة :

ـ انه عمى . . وانا أدعى هيلين تويد .

***

شعر لوبين بالارتياح لأنه لم يصارح زميلته برأيه الشخصى فى بول تويد . . وهو رأى ما كان ليكتمه لو أن هذا الأخير كان موجودا .

قال لها فى صدق واخلاص :

ـ اننى أرثى لك يا هيلين .

فاستطردت تقول :

ـ ان أبى يعمـل كأستـاذ للهندسـة فى « جامعة تورونتو » بكندا . . ومن المؤكد انك لم تسمع عنه قبل الآن . . ولكنى أعتقد أن الله لم يخلق أخوين يختلف كل منهما عن الآخر . . كما يختلف أبى عن أخيه .

كان كل هم عمـى أن يبحث عن المـال . . ويجمعـه فى الخزائن . . أما أبى فلم يكن مثله على الاطلاق . . انه رجل هادىء . . كريم . . لا يختلف عن أى انسان عادى . . وهو خارج عمله أشبه بالأطفال سذاجة ووداعة . . وقد بدأ كلاهما

من الحضيض وحقق كل منهما أهدافه . . فجمع عمى ثر.
طائلة . . واتم أبى دراسته . . والتحق « بجامعة تورونتو » . .
وحصل على درجة جامعية . . وكافح حتى وصل إلى مركزه
العلمى الحالى . . ثم جاءت أمى ففرقت بين الرجلين .

كان عمى يريدها زوجة له . . ولكنها فضلت أبى عليه . .
ولم يكن لأبى ذنب فى ذلك . . ولكن عمى لم يغفر له هذا
التفضيل أبداً . . ولا أعتقد انه كان يغار من أبى . . أو انه كان
يحب أمى حقا . . وانما كل ما فى الأمر انه اصطدم لأول مرة فى
حياته بشىء لا يمكن شراءه بالمال . . فجرح ذلك من
كبريائه . . وأشعل غضبه . . وأثار حنقه . . وغيظه .

ومهما يكن من أمر . . فانه لم يفصح عما فى نفسه . . وبقى
يتظاهر بالحب والعطف . . ولكننى كنت أرى والاحظ . .
وكثيرا ما حاولت أن ألفت نظر أبى إلى أن أخاه لا يضمر له إلا
شرا . . ولكنه رفض الاصغاء إلى . . بل انه ساعد بول على
مضاعفة ثروته . . لأنه مخترع بارع . . وقد صنع لعمى ـ خلال
الحرب ـ آلات تنتج ضعف كمية الأحذية بنصف التكاليف . .
نظير مبلغ تافه . . ضئيل .

وصمتت هيلين لحظة . . وقالت :

ـ لقد بدأت القصة تبدوا كأحدى الروايات البوليسية . .
ألبـ.. ذلك ؟

فأجابها لوبين مشجعا :

ـ انني أحب هذا النوع من القصص .

وأفرغت الفتاة ماكان فى قدحها من نبيذ .. ثم استطردت :

ـ لقد بدأ أبى منذ أعوام فى ابتكار جهاز للسيارة ينقل سرعتها بطريقة آلية .. يساعد على قيادة السيارة دون استخدام أى شىء آخر غير « الفرامل » .. وبذلك ينسق سرعة السيارة فى الطرق المرتفعة والمنحدرة ووسط الزحام دون أن يبذل قائد السيارة أى جهد .. انه موضوع فنى لا ضرورة الآن للإطالة فى وصفه وشرحه .. وحسبى أن أقول لك انه سيحدث انقلاب خطيرا فى صناعة السيارات .. وانه يساوى ثروة جسيمة .. وقد أنفق أبى فى سبيل صنعه وتحسينه كل ما ادخره طيلة حياته .. ولكنه وجد نفسه منذ ثلاثة شهور خاوى الوفاض .. لا يملك مايساعده على الاستمرار فى العمل للوصول باختراعه إلى أقصى حالات الدقة والكمال والاتقان .. فلجأ إلى عمى بول فى طلب المساعدة .

وصمتت هيلين .

وكان لوبين يصغى إليها فى انتباه شديد .. وعقله يعمل بسرعة .. ولم يلبث أن أرسل من فمه سحابة من الدخان .. نظر من خلالها بامعان إلى وجه الفتاة نظرة صريحة ..

فاحصة . . نفاذة . . ثم قال :

ـ وقد ساعده تويد طبعا .

ـ لقد أقرضه خمسة آلاف دولار بضمان اسمى لا أهمية له . . وهو عبارة عن عدد من الوثائق وقعها أبى كمجرد شيكات فحسب . . وأظنك تعرف معنى هذه الاجراءات .

ـ أعتقد ذلك .

ـ ان تصميم الاختراع موجود الآن فى خزانة عمى بقصره فى « سان كلو » وهذا التصميم هو عصارة ذهن أبى . . وخلاصة تفكيره . . وعلومه . . وجهوده فى عشرات السنين .

وتوجد مع التصميم فى الخزانة ورقة بخط أبى يقر بها بأن الاختراع أصبح ملكا لعمى . . وله كل امتيازاته . . ومن حقه أن يستغله على الوجه الذى يريده . . ولم يقيد هذا الحق بحد أو تاريخ . . وكان المفروض أن ينتهى حق عمى من الامتياز فى الموعد الذى يتم فيه سداد القرض . . ولكن الورقة لم يذكر بها شىء من ذلك . . لأن أبى رجل طيب القلب . . لا يعرف الخدع القانونية . . وقد وقع هذه الورقة فى غيابى . . فلم أعلم بأمرها إلا بعد فوات الأوان .

فسألها لوبين فى هدوء :

ـ هل أفهم من ذلك ان قصر عمك فى « سان كلو » هو المكان الذى تريدين السطو عليه الليلة ؟

فنظرت إليه بامعان .. ودون أن يهتز لها هدب .. نظرة صريحة تنم عن العزم .. وقالت فى ثبات :

ـ اصغ إلى يا مسيو لاروش .. سأظل أزعم لنفسى أن هذه الليلة مجرد حلم من الأحلام .. وان مادار بينى وبينك هو جزء من هذا الحلم الممتع .. ولولا ذلك ما صارحتك بكل هذه الأمور .. نعم .. اننى سأسطوا الليلة على قصر عمى إذا قدر لى ذلك .. وسأحاول الاستيلاء على مفاتيحه .. وفتح خزانته .. وسرقة تصميم الاختراع .. والوثيقة التى وقعها أبى .. لأنه لا أمل فى أن يتمكن أبى من سداد القرض .. وعمى يعلم ذلك جيدا .. وقد اتخذ فعلا كافة الاجراءات اللازمة لبيع الاختراع لشركة سيارات « فورد » .. ولا توجد أية وسيلة قانونية لمنعه من عقد هذه الصفقة .. انها قضية من القضايا التى يمنح فيها القانون تسعة أعشار ملكية الشىء لحائزه .. فإذا انتزعنا العقد والتصميم .. فلن يجرؤ عمى على رفع الأمر للقضاء .. وعرض تفاصيل الصفقة علانية .. لأنها صفقة مخزية له .. ويجب عليه أن يبسطها أمام القضاء إذا أراد المطالبة بشىء .. فهل ترى فيما اعترفت لك به خروجا على الصواب والمنطق ؟

فأجاب لوبين :

ـ إلى حد ما .

فقالت وهى تحرك الكأس بين أناملها :

ـ ربما . . ولكن حدثنى يا مسيو لاروش . . هل سمعت عن أرسين لوبين ؟

ـ أرسين لوبين ؟ ! ومن ذا الذى لم يسمع عنه ؟ !

فاستطردت هيلين فى حرارة وحماس :

ـ اننى قرأت عنه الكثير . . وأحسب انه الوحيد الذى يستطيع القيام بهذه المغامرة . . ليتنى أستطيع مقابلته . . فان مثله خير من يفهم هذا الموقف على حقيقته . . وبعد . . انها مغامرة انسانية عادلة . . رغم ما تنطوى عليه من خروج على القانون .

وصمتت هيلين لحظة . . ثم تابعت حديثها قائلة :

ـ مهما يكن من الأمر . . فأنا لا أعرف كيف أشكرك يا مسيولاروش . . انك انسان حسن الادراك . . طيب القلب . . وقد أصغيت إلىّ فى صبر وأناة . . مما رفه عنى الكثير . . وساعدنى على المضى فى سرد قصتى إلى النهاية . . والآن أرجوك أن تنسى كل ما سمعت . . ولنتحدث فى شىء آخر . . أى شىء يعجبك . . ويثير البهجة فى نفسك .

***

ملأ لوبين كأسه . . وأشعل لفافة تبغ . . ثم قال وعلى شفتيه ابتسامة متألقة :

ـ لا أظن اننى سوف أنسى . . أو أتناسى . . هذا الموضوع يا هيلين . . لقــد أحسست منــذ اللحـظة الأولى بالعـطف عليك . . والانجذاب إليك . . وسوف أبذل قصارى جهدى لمساعدتك فى حل مشكلتك . . وسنذهب الآن معا إلى قصر عمك فى « سان كلو » .

فنظرت إليه هيلين فى دهشة بالغة . . ولكنه طمأنها قائلا :

ـ لم تخلق بعد الخزانة التى أعجز عن فتحها .

فازدادت دهشة الفتاة . . وغمغمت غير مصدقة ما تسمع :

ـ ولكن . . كيف . . كيف . .

فابتسم وأجابها فى هدوء :

ـ لأننى الرجل الذى تبحثين عنه . . أنا أرسين لوبين .

* * *

ذهلت هيلين . . حتى انها لم تستطع أن تنطق بكلمة واحدة لفترة من الوقت .

وبعــد لحظات . . حين تكلمت . . كان صوتها حافـلا بالفرحة . . نابضا بأقصى درجات السعادة :

هتفت وهى تصفق بيديها كالأطفال :

ـ كم أنا سعيدة الحظ . . ياإلهى . . من يصدق ؟ من يصدق ؟

فضحك لوبين وقال :

ـ اشربى كأسك .. وهيا بنا .. لقد اقترب منتصف الليل .

وانطلقا بسيارتها إلى « سان كلو » .

***

قالت هيلين وهى تشير بأصبعها :

ـ هو ذا القصر .

وأوقف لوبين السيارة .. ووجد نفسه أمام قصر فخم مشيد على الطراز الرومانى .. فوق منطقة مرتفعة بعيدة عن الطريق العام .. تحيط به حديقة مسيجة .. بديعة الأشجار .. رائعة الأزهار .

***

وقف يتأمل القصر .. وقد خيل إليه أنه يعرف كل ركن فيه .. كما لو كان يعيش فيه منذ عدة أعوام .. فقد أدلت له هيلين بوصف دقيق لمداخل القصر .. ومنافذه .. وقاعاته .. وأروقته .. ورسمت له .. على ورقة فى المطعم .. وهما يتناولان أقداح الشراب .. صورة مفصلة عن مواقع الغرف .. ومكان الخزانة .

***

وكان الليل قد انتصف .. أو كاد .. والسماء مظلمة .. حالكة .. لا قمر فيها .. ولا نجوم .

وهمست هيلين فى نشوة وطرب :
ـ انها حقا ليلة صالحة للمغامرات .
فقالت هيلين تسأله :
ـ اننى مازلت أجهل سر مجازفتك من أجلى ؟
فأجابها موضحا :
ـ لأننى أحب هذا النوع من المغامرات . . ان لى رأيا خاصا فى مثل هذه المخاطرات . . والواقع . . اننى كنت أتوق . . فى الفترة الأخيرة . . إلى مثل هذه الفرصة . . ولو اننى سمعت بقصتك وأنا على مئات الأميال . . لما ترددت فى القدوم على الفور .
ـ ألا ترى من الأوفق أن أرافقك ؟
ـ هذه مهنتى . . وأنا أدرى بها منك .
ـ ولكن . . لنفرض أن عمى استيقظ من نومه ؟
ـ سأعرف . . إذا حدث ذلك . . كيف أجعله يعود إلى النوم فى الحال .
ـ وإذا اكتشف الخدم وجودك ؟
ـ سأشد وثاقهم . . أو أقذف بهم من النوافذ .
ـ ولكن . . هب انهم قبضوا عليك ؟
ـ فى هذه الحالة يكون العالم قد قرب من نهايته . . ولكن تقلقى . . حتى لو حدث المستحيل . . وقبضوا على . .

فلابد من وقوع ضجة تبلغ مسامعك . . وتنبهك إلى الخطر . . وفى تلك الحالة يتعين عليك، أن تهربى بالسيارة إلى باريس . . وتنتظرى النتيجة هناك . . لقد أصبحت مغامرتى . . لا مغامرتك .

قال ذلـك . . ووثب إلى سور القصر بخفة وبراعة أثارت دهشة الفتاة .

* * *

كان السكون تاما . . والظلام شاملا . . وليس ثمة بصيص من الضوء فى النوافذ . . والشرفات . . ولكنه دار بالقصر فى حذر ليكون على ثقة . . ويقين .

وكانت عيناه قد ألفتا الظلام . . فلم يحدث أية حركة تنم عن وجوده .

ومـا هى إلا دقائق حتى كان قد أجتاز الحديقة . . ووقف أمام الباب الداخلى .

* * *

كان بابا ضخما من الخشب السميك .

ولم يكلف لوبـين نفسه عناء معالجته . . واقتحامه . . بل استقرت عيناه على نافذة فى الطابق الأرضى . . كان فتحها . . بالنسبة إليه . . كمن يفتح علبه ثقاب .

وبعـد لحظات . . فتـح النـافـذة . . ووثب منهـا إلى

الداخل . . فوجد نفسه فى مطبخ القصر .

أضاء مصباحه الكهربائى . . وأجال بصره فيما حوله . . فرأى لوحة المفاتيح الكهربائية التى تتحكم فى إضاءة القصر . رآها فى نفس المكان الذى ذكرته له هيلين . . فسار نحوها . . وانتزع المفاتيح . . وقطع التيار . . وشعر بالاطمئنان .

الآن لم يعد يخشى أهل القصر . . إذا شعروا به . . وحاولوا مطاردته . . فانهم سوف يتخبطون فى الظلام . . ويتعذر عليهم التعرض له . . أو الوصول إليه .

وسار بخفة إلى بهو القصر . . ورفع مزاليج الباب الكبير .

كان . . كعادته دائما . . سريع البديهة . . بعيد النظر . . دائم الحرص على إعداد منفذ أو منفذين . . للإفلات إذا اضطربت الأحوال . . وتحرجت الأمور . . وحدث مالم يكن فى الحسبان .

***

وقصد بعد ذلك إلى غرفة المكتبة . . فى نفس المكان الذى وصفته هيلين . . وفتح نافذتها على سبيل الاحتياط . . وبدأ فى البحث عن الخزانة .

لقد ذكرت له هيلين ان الخزانة موجودة داخل الجدار . . وراء أحد الدواليب . . فإذا فتح باب الدولاب . . ظهرت الخزانة .

وقد وجدها . . حيث وصفتها له . .

وما ان سلط عليها ضوء مصباحه الكهربائى . . حتى أدرك انها ليست من النوع الذى يفتح بسهولة .

* * *

لم يتعود أرسين لوبين أن يحمل أدوات العمل . . ولا أن يحشو جيوبه . . كما يفعل المبتدئين بالمواد الحارقة أو الناسفة أو المذيبة للفولاذ . .

كان دائما شديد الثقة بنفسه . . يتصرف وفقا للظروف والأحوال .

وقد صمم على فتح الخزانة بمفتاحها . . فتسلل إلى خارج الغرفة . . وصعد السلم بخطى لا تسمع . . وقصد إلى مخدع المستر بول تويد .

* * *

وكان الرجل مستغرقا فى نومه . . وهو يغط بصوت مسموع .

ولو انه كان مستيقظا . . لما سمع حركة فتح الباب . . أو وقع أقدام لوبين وهو يتسلل إلى الداخل . . ويتناول حلقة المفاتيح من درج الطاولة الصغيرة . . المجاورة للفراش . . وينتزع من حول عنقه سلسلة ذهبية يتدلى منها مفتاح قد يكون مفتاح الخزانة المطلوب !!

وهبط لوبين السلم مرة أخرى وكأنه شبح من الأشباح .

وعـاد إلى غرفـة المكتبـة . . وسلط نور مصباحه على باب الخزانة . . واختار من بين المفاتيح واحدا رجح انه المفتاح المنشود .

وما ان وضع المفتاح فى قفل الخزانة . . وأداره . . حتى فتح بابها بحركة أدخلت السرور إلى قلبه . . فمد يده المكسوة بقفاز من المـطاط . . وفتـح درجـا كبيرا فى داخل الخزانة . . فوجد مجمـوعة من الأوراق مربوطة بخيط رفيع . . وقد كتب عليها بحروف كبيرة :

« أجهزة القيادة الأتوماتيكية » .

وقـطع لوبين الخيط . . وبسط الأوراق بين يديه . . فرأى رسـوم التصميم . . ووثيقة قانونية . . ورسائل بعض مصانع السيارات فى الولايات المتحدة .

***

قضى لوبـين الـدقـائق العشر التـالية فى نسـخ بعض الأوراق . . والوثائق . . واستغرق فى العمل . . فلم ينتبه إلى حركـة خافتة . . مبهمة . . كان من الممكن أن تلتقطها أذناه الحساستان . . لولا انشغاله بما بين يديه . على انه لم يلبث أن شعـر بالخـطر حين سمـع وقع أقدام تتحرك بحذر فى الشرفة الملحقـة بالغرفة . . واقترنت هذه الحركة بهمسات خشنة . .

وأصوات غامضة .

رفع رأسه . . ونظر حوله . . وأصغى بكل حواسه .

كانت مفاجأة له لم تكن فى الحسبان .

ووقع بصره مصادفة على الخزانة التى كان قد أغلقها فى التو واللحظة . . فاكتشف وجود خيط معدنى رفيع ممتد من الجدار إلى أحد أركان باب الخزانة . . فأدرك على الفور أن هذا الخيط من جهاز للانذار مثبت بالخزانة . . ولابد أن يكون هذا الجهاز بمعزل عن التيار الكهربائى الذى يضىء القصر .

* * *

لم تكن هيلين قد ذكرت له شيئا عن هذا الجهاز . . ومن المحتمل أن يكون بول تويد قد احتفظ بأمره سرا . . فلم يتحدث به إلى أحد .

* * *

أطفأ لوبين مصباحه الكهربائى بسرعة . . ووثب نحو باب الغرفة . . وفتحه فى حذر . . وخرج إلى الصالة .

وهناك . . وجد بينه وبين الباب الخارجى . . رجلا ضخم الجثة يحمل فى يده هراوة غليظة .

ونظر إلى الردهة الضيقة الموصلة إلى المطبخ . . فرأى رجلا رياضى الجسم . . مفتول الساعدين . . يتقدم نحوه بخطوات خفيفة .

وأرسل بصره إلى السلم . . وهو المنفذ الأخير . . فرأى مستر بول تويد واقفا فى أعلاه . . وباحدى يديه شمعة مضاءة . . وبيده الأخرى مسدس ضخم .

* * *

لم يفقد لوبين أعصابه .

جمد مكـانـه لحظة . . ثم تلاعبت على شفتيه ابتسـامـة ساخرة . . ولم يلبث أن انحنى أمامهم فى أدب جم وهو يقول :

ـ طاب مساؤكم أيها السادة . . يؤسفنى اننى أزعجتكم فى هذه الساعة المتأخرة من الليل .

ثم دار على عقبيه . . وعاد مسرعا إلى غرفة المكتبة . . وأغلق بابها وراءه بصوت مسموع !!

* * *

كانت جرأتـه قد أذهلت الـرجلين . . فجمـدا فى مكانهما لحظة . . ثم هجما على غرفة المكتبة فى وقت واحد . . وفتحا بابها .

ولحق بهما مستر تويد . . ولكنه لم يجازف بالدخول . . بل وقف بالبـاب . . ورفـع الشمعـة فوق رأسـه ليتسنى له رؤية ما يحدث فى الداخل .

ووقف الرجلان فجأة فى دهشة وذهول . . ولم يصدقا عيونهما كانت الغرفة خالية تماما !!

وكـان الرجل الضخم أسرع من زميله فى تمالك نفسه . . والتخلص من وقع المفاجأة . . فأسرع نحو مقعد كبير فى ركن الغرفة . . وأطل وراءه . . وتشجع الرجل الآخر . . وأسرع إلى ستار النافذة . . وحركة . . فوجد النافذة مفتوحة على مصراعيها .

***

وبينما كان الرجل الضخم يحرك المقعد . . وزميله يفحص النافذة . . وثب لوبين من فوق السلم وراء الباب كان يستخدم بغير شك للوصول إلى الرفوف العليا لدواليب الكتب . . وهبط بكل ثقله فوق مستر تويد . . فأفلتت من فم هذا الأخير صيحة ذعـر . . وسقـطت الشمعـة من يده . . وانطفأت . . فدفعه لوبين إلى داخل الغرفة وأغلق بابها من الخارج .

***

همس لوبين قائلا لهيلين :

ـ لا يزال لدينا متسع من الوقت لقضاء ساعة فى أحد الأندية

فذعرت الفتاة . . ونظرت حولها . . فرأت لوبين يخرج من الظلام .

قالت بصوت خافت وهى تلهث :

ـ هل كان من الضرورى أن تخيفنى على هذا النحو؟

فضحـك فى سرور . . ونـظر إلى القصر . . حيث سمـع

ضجة كان وقعها فى أذنيه أعذب من ألحان الموسيقى .

وثب إلى السيارة . . وأدار محركها . . فسألته الفتاة :

ـ هل حدث ما لم يكن فى الحسبان ؟

فأجابها فى ارتياح :

ـ لم يحدث ما يتعذر تلافيه .

وانطلقت بهما السيارة تسابق الريح .

وأشعل لوبين لفافة تبغ راح يدخنها فى تلذذ واستمتاع . . وسألته هيلين :

ـ هل جئت بكل شىء ؟

ـ ألم أقل لك اننى لا أعرف المستحيلات ؟

ـ ولكن ما سبب تلك الضجة التى كانت منبعثة من القصر ؟

ـ يبدو أن الخزانة كانت متصلة بجهاز للانذار لم يكن لك به علم . . على أن وجود الجهاز لم يغير من الأمر شيئا . . فقد وصل الأغبياء بعد فوات الأوان .

فأمسكت ساعده بانفعال وهتفت :

ـ اننى لا أكاد أصدق أذنى لقد انتهت المغامرة كما ينتهى الحلم السعيد . . من ذا الذى يصدق اننى اشتركت مع أرسين لوبين الجبار . . قاهر شرلوك هولمز . . وجانيمار وبيشو . . وتيل ؟ ! هل ثمة مانع من أن أعبر عن اغتباطى . . وبهجتى . . وسعادتى ؟ ؟ !

ومدت يدها إلى زر بوق السيارة . . وراحت تضغطه بحركة منتظمة . . فأرسلت نغمات متناسقة انسابت فى هدوء الليل .

وابتسم لوبين .

انه نفســه لا يكـاد يصدق ان الأمر تم بهذه البساطة . . والسهولة . لقد كانت ليلة سعيدة منذ البداية .

* * *

ومال بالسيارة فى منحنى الطريق .

وفجأة رأى أمامه صفا من المصابيح الحمراء فقال وهو يضغط على « فرامل » السيارة :

ـ لم تكن هذه المصابيح هنا عند مجيئنا .

وصمتت هيلين . . وجمدت فى مكانها . . ولم تلبث أن همست :

ـ ترى ما هذا ؟

ولكنه هز كتفيه . . وأوقف السيارة على بعد ثلاثة أمتار من المصـابيح الحمـراء . . وقـد تبين له انها مثبتة فى لوح خشبى موضوع فى عرض الطريق .

* * *

كان الظلام حالكا . . فلم يميز لوبين شيئا وراء المصابيح الحمراء .

وعـلى حين بغتـة أحس بشيء صلب يلتصق برأسـه

فتحـول بسرعـة . . ورأى فوهـة مسـدس . . ورجـلا يرتدى معطفا . . يقف بجانب سيارة صغيرة . . سوداء .

* * *

قال له الرجل المجهول فى هدوء مخيف :

ـ لا تحاول أن تأتى بمجرد حركة واحدة .

وفى نفس الوقت غادرت هيلين السيارة . . وقالت له وهى تغلق بابها :

ـ هنا تنتهى رحلتى يا مسيو لوبين .

فقال لوبين فى رفق :

ـ حسنا . . أطيب تمنياتى .

وقال الرجل فى لهجة الأمر وهو يلوح بمسدسه :

ـ أعطنى الأوراق .

فأخـرج لوبـين من جيبـه مجموعة من الأوراق . . تناولتها هيلين . . واقتربت بها من مصباح السيارة . . وقرأت على ضوئه ما كتب عليها .

وتأملها لوبين وهى تفعل ذلك . . ولم يتمالك من الاعجاب بخصلات شعرها . . والنسيم يتلاعب بها .

وعادت هيلين . . وقالت له موضحة :

ـ ليس للمستر بول تويد أى شقيق يعمل أستاذا فى « جامعة تورونتو » . . وليست لى أية صلة بأسرة تويد . . وفيما عدا ذلك

فان كل ما ذكرته لك صحيح .

لقد اشترى تويد هذا الاختراع من مخترع رومانى شاب . . ولا أعلم كم دفع ثمنا للاختراع . . ولكنه اشتراه فعلا .

والاختـراع لم يسـجـل إلى الآن . . وأهـم شيء فى الاخـتراعـات . . بالنسبـة إلى المصانع . . أن يكون من هذا النـوع . . وأن يظل سرا حتى يتمكن المصنع من انتاجه قبل غيره . . بحيث يسبق إى مصنـع آخر . . وقد كان تويد على وشك أن يبيع الاختراع لمصانع سيارات « فورد » كما ذكرت لك .

فسألها لوبين فى فضول :

ـ وماذا فى نيتك أن تفعلى به ؟

ـ ان لدى عرضـا من « ديفى شنـدلـر » صانـع السيارات الأمريكى المشهور . . وقد قبلت العرض . . وسأبيعه الاختراع .

قالت ذلك . . وسارت إلى حيث كانت اللوحة الخشبية التى تحمل المصابيح الحمراء . . فأزالتها من مكانها . . وافسحت الطريق . .

ثم عادت إلى لوبين . . ونظرت إليه بعينيها الصريحتين اللتين أعجب بصفائهما فى المطعم . . واستطردت تقول :

ـ لقد قضينا أسبوعا فى الاستعداد والتأهب لهذه المغامرة . .

وكان فى نيتنا القيام بها بأنفسنا هذه الليلة . . لولا اننى التقيت بك فى المطعم . . وعرفتك من صورة نشرتها لك احدى الصحف منذ بضع سنوات .

وكل ما حدث منذ لقائنا كان مجرد وحى خطر ببالى لحظتها . . وبعد . . هل هناك أبدع من أن يستخدم الانسان أعظم خبير فى المهنة لخدمته . . وتحقيق أغراضه ؟

فسألها لوبين :

ـ فى أية صحيفة رأيت صورتى ؟

ـ فى صحيفة « ايكو دى فرانس » . . لماذا ؟

ـ آه . . كان ذلك منذ أعوام . . اننى اهنئك لحدة ذاكرتك . . وقوة ملاحظتك .

فضحكت ضحكة هادئة تجمع بين المرح والأسى . . وقالت :

ـ اننى جد آسفة . . لقد طابت لى صحبتك كثيرا .

فأجابها فى صدق :

ـ اننى لا أقل عنك أسفا ياهيلين .

فصمتت لحظة . . ثم مالت عليه فجأة . . وطبعت على شفتيه قبلة سريعة .

وقال الرجل الآخر وهو يحرك المسدس فى يده :

ـ امضى فى سبيلك . . ولا تتوقف .

ـ ألا تريدون سيارتكم ؟

فضحك الرجل بخشونة وأجاب :

ـ ان لدينا سيارتنا . . أما هذه السيارة فقد استأجرناها من أحد « الجاراجات » خصيصا لهذه المهمة . . انطلق فى سبيلك .

فأدار لوبين محرك السيارة . . وهتفت هيلين :

ـ وداعا يالوبين .

فرد لوبين تحيتها بحركة من يده . . دون أن ينظر وراءه . . وانطلق بالسيارة يسابق الريح .

* * *

وضحك طويلا وهو فى طريقه إلى باريس .

كان يتخيل ما سوف تشعر به هيلين . . وتقوله عنه . . عندما تبسط الأوراق بين يديها . . وتكتشف انها مزورة . . غير صحيحة . . لا فائدة منها . . ولا نفع فيها . . بعد أن زيفها بسرعة فى قاعة المكتبة على سبيل الاحتياط . . واحتفظ لنفسه بالتصميم الحقيقى للاختراع الخطير ! !



مغامرات أرسين لوبين

العقد الذى اختفى





جلس الـرجـلان فى « مطعم آرنو » . . وبينهما كأسان من النبيذ الفاخر . كان أحدهما قصير القامة . . متجهم الوجه . . تنم النظرات التى يختلسها إلى زميله بين حين وآخر . . عن ريبته فيه . . وعدم ثقته به . .

وكـان دائم القلق . . شديد الحذر . . كمن يجالس ثعبانا يخشى أن يلدغه فى أية لحظة ! !

أما الرجل الآخر فكان طويل القامة . . ضاحك الوجه . . ساخر النظرات . . شديد المرح والابتهاج .

* * *

قال الأول دون أن ينظر إلى جليسه :

ـ عجبا لك يابارنيت . انـك تضيع الكثـير من وقتك فى العناية بتوافه الأمور . . مثال ذلك اهتمامك بدراسة أنواع النبيذ والخمور . . ومعرفة طريقة صنعها . . وخصائص كل منها . . وهى مسـائـل لا يهتم بها غير تجار الخمـور الكبـار . . الذين يعملون على نطاق واسع .

فابتسم لوبين وأجاب :

ـ ان الـذين يعملون فى مهنتنـا ياعزيزى المفتش بيشو . . يشعرون دائما بأن هناك أشياء ينقصهم العلم بها . . فالميدان الذى نجول فيه ونصول . . لا يضم فقط جيادا تحاول الوصول إلى الهـدف قبلنـا . . وانـما تضم كذلك كلابا تحاول أن توقع

بنا .. وتقطع علينا السبيل .. والعناية بمعرفة الأشياء الصغيرة قبل الكبيرة كثيرا ما تحقق لصاحبها السبق والفوز . أنظر مثلا .. انني حين أمسك هذا الكأس لأرفعه إلى شفتى .. لا أفكر فى متعة ارتشاف النبيذ بقدر ما أفكر فى الأعناب الذهبية التى صنع منها .. ومن الأسماء الخالدة التى اقترنت بأجود أنواع النبيذ .

ان لبعض هذه الأسماء رنينا أعذب من أنغام الموسيقى .. مثل شمبريان .. رومانية .. كونتيه .. ريشبورج .. فوجيو .. ولا أتملك كذلك من التفكير فى العظماء الذين استعبدهم عصير الأعناب والكروم أولئك « السكارى الخالدون » .. كما أسماهم « رابليه » من أمثال أوجست العظيم .. ملك سكونيا الذى رزق خمسة وستين ولدا بين شرعى .. وغير شرعى .. ومات من الافراط فى الشراب أثناء احتفالاته بعيد ميلاده .. ودوق كلارنس الذى غرق فى برميل الخمر .. كذلك لا أتمالك .. حين أتناول النبيذ أو أتحدث عنه .. من التفكير فى اللآلىء التى ...

فهتف المفتش بيشو مقاطعا :

ـ آه .. لقد كنت حائرا .. لا أدرى كيف أقحم موضوع اللآلىء فى حديثنا .

فابتسم لوبين .. واستطرد قائلا :

ـ ما أوثق الصلة بين اللآلىء والنبيذ . . ألم تقرأ أن أباطرة الـرومان كانوا فى مباذلهم يذيبون اللآلىء فى النبيذ ليثبتوا انهم لا يقيمون وزنا للمال ؟ ألم تسمع عن المأدبه الفخمة التى أقامتها كيلوبـاترا ملكة مصر . . لقيصر العظيم . . حين قدمت إليه بيدها قدحا من الخمر آذابت فيه لؤلؤة لا تقدر بثمن ؟

إذا لم تكـن قد قرأت أو سمـعت عن كل هذا ياعــزيزى بيشو . . فأنت رجل جاهل . . لا تصلح مفتشا للبوليس .

فحدج بيشو « صديقه اللدود » بنظرة صاعقة . . وقال فى حنق :

ـ دعك مما قرأت . . ومما سمعت . . ان ما أريد معرفته الآن هو مدى اهتمامك بجواهر الليدى شندلر التى يلقبونها بملكة الماس ؟

فتنهد لوبين فى أسف وأجاب .

ـ انك تشعرنى بالخجل من نفسى يابيشو . . كلما فكرت فى اننى اتخذت صديقا لا يهتم لغير الماديات الزائلة ؟

لقد دعوتك لنتناول معا طعاما شهيا . . وبضع كؤوس من النبيذ المعتق الممتـاز . . وكنـا . . منـذ لحظة واحدة . . نقوم بجولة شاعـرية فى ربـوع التاريخ بين الأساطير الخالدة . . وإذا بك تهبط فجـأة إلى عالم الاثم والاجــرام . . وتتهمنى بالتـدبـير للحصول على لآلىء تلك الأرملة التعسة .

فقال المفتش بيشو بصوت ينم عن الارتياب :

ـ بل اننى سأمضى إلى أبعد من ذلك . . وأسألك : هل اختيارك هذا المكان لتناول الطعام كان مجرد صدفلا ؟

فهتف لوبين محتجا :

ـ وهل يخامرك فى ذلك شك ؟ لقد خيل إلى انه مكان هادىء . . أنيق . . نستطيع أن نقضى فيه وقتا طيبا .

فعاد بيشو يقول فى شك :

ـ ألم يقع اختيارك على هذا المكان لأنك علمت بطريقة ما . . أن الليدى شندلر ستحضر إليه ؟

ـ كلا طبعا .

ـ اذن فوجودها هنا الآن مجرد مصادفة .

فرفع لوبين حاجبيه فى دهشة .

وقال المفتش بيشو دون أن يحول عينيه عن محدثه :

ـ انها خلفك . . إلى اليسار .

فاحتسى لوبين كأسه فى هدوء . . ونظر من فوق كتفه دون اكتراث لم يكن فى حاجة إلى من يرشده إلى الليدى شندلر . . فقد نشرت لها الصحف والمجلات عشرات الصور . . وكتبت عن ثروتها من اللآلىء . . والأحجار الكريمة . . ما جعل صورتها تنطبع فى ذهنه . . ولا تزول .

***

كان زوجها اللورد شندلر رئيسا لاتحاد تجار الماس . . وصاحب أغنى مناجم الماس فى جنوب افريقيا . . وقد توفى فى العام الماضى . . وترك لزوجته ثروة طائلة من الأموال والأسهم . . والأحجار الكريمة ولعل أبدع ماتركه لها . . ذلك العقد الفريد . . الرائع . . المكون من اللؤلؤ الوردى . . الذى ابتاعه من أحد مهراجات الهند العظام .

* * *

وكانت الليدى نحيفة الجسم . . بارزة العظام . . ذات وجه ضامر . . مستطيل . . ولم يكن لوبين فى حاجة إلى إطالة النظر نحوها . . لكى يعرف الكثير من خلقها وطبعها .

ومع ذلك . . فقد طالت نظراته أكثر مما ينبغى . . واستقرت عيناه لحظات على وجه الفتاة الحسناء . . الفاتنة . . الذهبية الشعر . . التى كانت برفقة الليدى المشهورة .

هز رأسه فى عجب . . وازدادت ابتسامته اتساعا .

كانت تلك الفتاة . . بالنسبة إليه . . شخصية لا تنسى .

* * *

قال بيشو بصوت خشن

- حسنا . . مارأيك ؟

- فى منتهى الجمال .

فزمجر بيشو :

ـ طبعا . . لقد قدر ثمنها بمائة ألف جنيه .

فهتف لوبين فى سذاجة :

ـ هل تعنى لآلىء العقد ؟ ! اننى لم أنظر إليها . . انما نظرت إلى ابنة الليدى .

فأرسل المفتش بيشو بصره . . إلى ما وراء لوبين . . حيث كانت تجلس الليدى شندلر . . ثم قال :

ـ ان الليدى ليس لها بنات . . وأعتقد أن الفتاة التى معها هى احدى صديقاتها . . ما أشبهها بنجوم السينما . . الحق انها على جانب عظيم من الجمال .

ثم قطب حاجبيه فجأة وقال :

ـ لا تحاول أن تضللنى يابارنيت . . اننى عندما قرأت فى الصحف نبأ قدوم الليدى شندلر . . اتجه تفكيرى إليك على الفور . . اننى مطبوع على الهدوء كما تعلم . . والرأى عندى دائما أن منع حدوث سرقة خير من مطاردة اللص بعد أن يسرق . . مهما يكن من أمر . . فاننى مازلت أعتقد أن قدومك إلى هذا المطعم بالذات لم يكن محض مصادفة .

ـ هل تعنى اننى أضمر شيئا . . وإننى لذلك قد جئت بك إلى هنا ؟

ـ ان دعوتك لى . . إلى هذا المكان . . ليست دليلا على براءتك . . وحسن نيتك . . فأنا من أعلم الناس بمدى

ما تتمتع به من وقاحة . . وجرأة . . وقوة أعصاب .

ـ شكرا جزيلا على هذا الاطراء رغم انى لا أستحقه !!

ـ دعـك من المراوغة . . اننى أود أن أنذرك بأننى وضعت حول الليدى شنـدلـر من يسهر عليها ليل نهار . . فإذا حمت حولها . . فان أعـوانى سيلقون القبض عليك فورا . . وإذا فقـدت الليدى شيئا من مجوهراتها . . فالويل لك سواء كنت أنت السارق أو لم تكن !!

فابتسم لوبـين . . وأضـاءت الابتسـامة وجهه الحاد التقاطيع . . ولمع فى عينيه بريق خبث وسخرية وهو يقول :

ـ الحق انك اثرت اهتمامى الآن ياعزيزى بيشو .

ـ لقد حذرتك وانذرتك .

فاستطرد لوبين فى برود يثير الغيظ :

ـ بل قل انـك فتحت عينى . . واثـرت جشعى . . وهذا أخطر ما يفعله رجل البوليس . . هل تريد قدحا من القهوة ياعزيزى ؟

فأجاب المفتش وهو على وشك أن يفقد أعصابه :

ـ كلا . . شكرا لك . . سوف أدفع ثمن طعامى .

فهتف لوبين معاتبا :

ـ هل نسيت اننى أنا الذى دعوتك ؟

فاستطرد بيشو فى اصرار الغاضب الذى يوشك على

الانفجار :

ـ قلت لك اننى سوف ادفع ثمن طعامى . . وأرجو أن تتمكن من دفع طعامك ايضا !! لقد حذرتك . . فاياك والنسيان .

فأجاب لوبين فى هدوء :

ـ كلا . . تأكد اننى لن أنسى .

* * *

وما ان انصرف المفتش بيشو حتى أشعل لوبين لفافة تبغ . . وراح يرتشف قهوته على مهل .

لم يشعر باستياء من غلظة بيشو وخشونته . . فقد كان من الطبيعى أن يتصرف على هذا النحو . . فهو لا يفترق عن غيره من رجال البوليس . . ويقع فى مثل أخطائهم .

ومن أهم الأخطاء الشائعة بين رجال البوليس انهم يحاولون تجنب المتاعب بألوان من التحدى لا يستطيع مغامر يحترم نفسه أن يسكت عليها !!

والواقع أن لوبين قد جاء إلى هذا المطعم وهو خالى الذهن تماما من أية فكرة عن مجوهرات الليدى شندلر . . وعقدها الوردى البديع .

وقد كان من الخطأ أن يلفت بيشو نظره إلى هذه المجوهرات . . ويذكره بها .

وكان من الامعان فى الخطأ . . والتمادى فيه . . أن يقرن هذا التذكير بها يشبه التحدى . . والاستفزاز .

وعلى الرغم من كل ذلك . . فانه كان من الممكن أن يتجاوز لوبين عن التحدى . . ويقاوم الاغراء . . لو لم تدفع الأقدار فى طريقه تلك الحسناء . . الفاتنة . . ذات الشعر الذهبى .

* * *

لم ينظر لوبين إلى الفتاة مرة أخرى . . إلى أن جاء أحد خدم المطعم . . وطلب من الليدى شندلر الرد على مكالمة تليفونية . . فغادرت مكانها على الفور . . وعندئذ فقط التفت لوبين نحو الحسناء . . ونظر إليها . . والتقت عيناه بعينيها .

ولكنها لم تدهش أو تضطرب . . بل ظلت على هدوءها . . وغموضها . . ولم تلبث أن مدت يدها إلى علبة ثقاب كانت أمامها على المائدة . . وكتبت عليها بضع كلمات بقلم من الرصاص اخرجته من حقيبتها .

وجول لوبين بصره عنها . . وأشعل لفافة تبغ . . ولم يظهر على وجهه شيء من الدهشة حين جاء أحد الخدم . . ووضع علبة الثقاب أمامه . . تناول العلبة . . وقرأ عليها هذه الكلمات :

« ٤٥ شارع مارسيه ـ شقة رقم ١٥ ـ الطابق الرابع ـ الساعة العاشرة مساء »

عادت الليدى شندلر إلى مكانها بجوار الحسناء ذات الشعر الـذهبى . . فدفـع لوبين حسابه . . ووضع علبة الثقاب فى جيبه . . وغادر المطعم .

كانت الساعة لا تزال التاسعة والنصف . . فأخذ يسير فى الشوارع بغير هدف . . لمجرد قتل الوقت .

لم تكن له حيلة فيما يصادفه من أحداث غريبة . . ومفاجآت عجيبة . كانت الأقدار حريصة دائما على أن تكون حياته كله سلسلة من المغامرات .

***

ووصل لوبين إلى شارع مارسيه .

ودخل البيت رقم ٤٥ .

واجتاز فناء مرصوفا بالحجارة . .

وخيل إليه على الفـور . . انـه انتقل فجأة إلى مبنى يرجع تاريخه إلى القرن التاسع عشر .

كانت للبيت شرفات صغيرة . . ضيقة .

وكان السلم مضاء بنور خافت . . ينقل الانسان إلى جو من الغموض المثير .

***

ووصل لوبين إلى باب الشقة رقم ١٥ .

ودق الجرس . . وانتظر .

وبعد لحظات فتحت ذات الشعر الذهبى الباب بنفسها .

***

لم يستطيع لوبين إخفاء نبرة السخرية من صوته . . وهو يلقى عليها بالتحية قائلا :

ـ طاب مساؤك .

فأجابته فى هدوء :

ـ طاب مساؤك .

وقادته إلى قاعة الاستقبال . . وكانت تقع فى مواجهة باب الشقة . . ثم اتجهت نحو طاولة صغيرة عليها كؤوس وزجاجات . . وسألته :

ـ ماذا تحب أن تشرب ؟

فأجابها مبتسما :

ـ أظن أن هذه أجمل مناسبة لتناول كأس من الشمبانيا .

فقدمت إليه الفتاة كأسا تناوله فى عناية . . وقربه من أنفه . . ثم تذوقه فاحصا . . ولم يلبث أن قال لها :

ـ ان الشمبانيا من نوع جيد . . انك مازلت سليمة الذوق كعهدى بك .

ثم تأملها بنظرة الخبير المتمكن وقال :

ـ أظن أن شيئا واحدا فيك على الأقل قد تغير . . عندما تقابلنا آخر مرة كان اسمك هيلين تويد . . فما الاسم الذى

تنتحلينه لنفسك الآن ؟

فأجابت دون أن يهتز لها هدب :

ـ ديانا دارون . . وهو اسمى الحقيقى .

ـ انه اسم جميل على كل حال . . ولكن هل « دارون » هو اسم الرجل الذى رأيته معك عندما افترقنا بالقرب من قصر بول تويد . . عمك المزعوم فى ذلك الوقت ؟

فبدت الحيرة على وجهها . . ثم فطنت إلى ما يرمى إليه . . فهتفت :

ـ تعنى انه زوجى ؟ كلا . . كلا بالتأكيد .

ـ اذن فهو ليس مختبئا فى الغرفة المجاورة لاغتنام أول فرصة لينقض على بخنجره . . أو مسدسه ؟

فضحكت وقالت :

ـ اننى لم أره منذ زمن طويل . . لقد كنا مجرد شريكين فى مغامرة . . ثم انتهى الأمر .

فتذوق لوبين الشمبانيا مرة أخرى بعناية فائقة وسألها :

ـ هل أنت واثقة من انك لم تضعى فى هذا الكأس شيئا من السموم الشرقية التى كانت تستخدمها لوكريس بورجيا للتخلص من أعدائها ؟

ـ انك لست عدوى .

ـ هذا عجيب حقا . . ان ما بدا من غدرك بى فى المرة

السابقة يتنافى مع . . .

فقاطعته قائلة :

ـ فى ذلك الوقت أردت أن أخدعك .

ـ أو على الأصح أردت أن تجعلى منى مخلب قط للفوز بضالتك وكدت أقع فى الفخ بسذاجة . . وحسن نية .

ـ ولكن أنت الذى خدعتنى فى النهاية . . وكان ذلك من حقك . . فقد كنت أنا البادئة بالخديعة . .

فاعتدل لوبين فى جلسته . . وقال :

ـ هذا بديع . . اذن فقد أرسلت إلى هذه الدعوة لكى نتصافح . . ونتعانق . . ونصبح أصدقاء مرة أخرى .

فتورد وجهها قليلا . . ولم تلبث أن قالت موضحة :

ـ عندما رأيتنى مع الليدى شندلر . . أدركت فى التو واللحظة . . ان منافسة حادة ستقوم بينى وبينك عاجلا أو آجلا . . فقررت أن أواجه الحقائق . . وأصفى ما بيننا .

ـ هل ظننت اننى أنشد نفس الغنيمة ؟

ـ إذا لم يكن الأمر كذلك . . فأنت الآن تنشدها .

ـ وماذا تقترحين ؟

ـ لماذا لا نوحد جهودنا . . ونعمل يد واحدة ؟

فتناول لوبين لفافة تبغ . . أشعلها ببطء . . ثم قال :

ـ هذه فكرة وجيهه . . ولكنى أخشى أن تكونى قد نسيت

أمرا . . كيف ستكون القسمة بيننا ؟
ـ مناصفة طبعا .
ـ هنا نقطة الخلاف .
ـ يجب أن نقتسم الغنيمة مناصفة . . وإذا خدعتنى . . فاننى أخدعك .
فابتسم لوبين وقال :
ـ هذه ليست المسألة . . هل تذكرين عندما التقيت بك أول مرة . . ومثلت دور فتاة فى مأزق . . فأسرعت لنجدتك . . وكشفت لك عن شخصيتى . . وعرضت عليك خدماتى ومعونتى ؟
ـ بالطبع أذكر . . لقد أردت خداعك . . فخدعتنى .
ـ ولكنى لم احتفظ بالغنيمة كلها لنفسى . . لقد حسبت المبلغ الذى اغتصبه « بول تويد » من المخترع الشاب . . وأرسلته إليه . . بعد خصم عمولة بسيطة .
فقلبت الفتاة شفتيها وقالت :
ـ لقد سمعت عنك حكايات بهذا المعنى . . ولكنى لم أصدقها .
ـ انها حكايات صحيحة ياعزيزتى . . ولك أن تصفينى بالجنون والحماقة . ولكن هذه هى طريقتى . . ولنرجع الآن إلى موضوعنا . . يبدوا أن أثمن قطعة بين مجوهرات الليدى

شندلر هى العقد الذى يجب ـ فى رأيى ـ أن يوزع على الهنود المساكين الذين كان المهراجا يستعبدهم . . ويمتص دمهم ليحيط نفسه بأسباب الترف والرفاهية . . فإذا تعاونت معى . . فاننى على استعداد لأن أقدم لك عشرة فى المائة من قيمة الغنيمة . . ولا أكثر من ذلك .

وصمت لحظة . . ثم استطرد :

ـ ليس فى استطاعتك أن ترفضى . . ثم تذكري أمرا . . وهو انك اذا حاولت خداعى . . فانك « لن » تستطيعى ذلك .

فحدجته الفتاة بنظرة قوية . . واضطرب صفاء عينيها قليلا . . ثم أشرق وجهها بعد لحظة . . وقالت وعلى شفتيها ابتسامة :

ـ انك صعب المراس حقا .

ـ ألا أستطيع أن أجذبك إلى طريقى . . ولو مرة واحدة ؟

ـ انك لم تدع لى فرصة للاختيار .

فضحك لوبين . . واقترب منها . . وبسط يده لها . . وهو يقول :

ـ اتفقنا إذن يادايانا .

فوضعت يدها فى يده .

وأحس لوبين . . على الفور . . بأن مصافحتها له . . أشد

زيفا من الابتسامة الخادعة التى ارتسمت على شفتيها .

* * *

كان على ثقة من أن المعركة بينهما قد بدأت فى نفس اللحظة التى شدت فيها على يده !!

وشعر بأنها ستكون معركة عنيفة .. هادئة .. لن تتوانى فيها ديانا عن استخدام أى نوع من السلاح .. وأية وسيلة من وسائل الخداع .

ولكن نظرته إليها لم تكن تقل « صراحة وبراءة » عن نظرتها إليه .

* * *

وقال لوبين فى مرح :

ـ اتفقنا أيتها الشريكة .. فلنرى الآن ما هى خطتك ؟

فأجابت ديانا :

ـ لقد قابلت الليدى فى « مونت كارلو » .. وتعرفت بها هناك .. وعلمت انها تريد قضاء بعض الوقت فى « باريس » لرؤية معالمها .. واتفقت معها على مرافقتها فى زيارتها للعاصمة الفرنسية لأننى أدرى بكل ما يتعلق بشئون « باريس » .

فغمغم لوبين قائلا :

ـ الحق أنك فتاة بارعة ياديانا .. ويسرنى أن نعمل سويا .. ولكن بأية صفة تقدمت إليها ؟

فابتسمت ديانا . . وأجابت :

ـ زعمت لها إننى مؤلفة . . وإننى أبحث عن فكرة مبتكرة لقصة جديدة .

ـ كيف كانت خطتك ؟

فصمتت لحظة ثم قالت :

ـ لقد أبديت لها إعجابى بالعقد الوردى . . وكان من السهل أن تضعه بين يدي لأفحصه بامعان . . فتمكنت من أن أحصى حباته . . وأن أطبع إحداها على قطعة من الشمع . . ثم ذهبت إلى أحد مصانع اللآلىء الزائفة . . وطلبت من المختصين فيه . . أن يصنعوا لى عقدا يشبه العقد الوردى من جميع الوجوه . . وها أنا الآن فى انتظار إتمام صنع هذا العقد المزيف . . وسيكون من السهل على بعد ذلك أن أبدله بالعقد الحقيقى .

فلم يستطيع لوبين أن يكتم إعجابه وقال :

ـ يبدو إننى سأتعلم منك دروسا كثيرة .

فشكرته بإيماءة من رأسها ثم سألته :

ـ والآن . . ما هى خطتك أنت ؟

فأجابها ببساطة :

ـ الواقع ياعزيزتى إننى لم أضع أية خطة على الاطلاق .

فبهتت . . ونظرت إليه غير مصدقة .

واستطرد لوبين :

ـ وقد كان بوسعك . . حين دخلت هنا . . أن تذكر الحقائق التى سردتها لك أثناء الطعام عن اللآلىء التى تذوب فى النبيذ . . وكيف أذابت « كليوباترا » ملكة مصر مجموعة ثمينة من اللآلىء فى كأس من النبيذ قدمته إلى قيصر .

فهتفت ديانا بصوت يشبه الأنين :

ـ ياإلهى . . أحقا ما تقول ؟

فأجاب لوبين فى حزن وأسى :

ـ نعم . . كان يتعين على أن أفعل ذلك للأسف الشديد . . إن الذى استطاعت « كليوباترا » أن تفعله . . قد فعلت أنا خيرا منه . . من أجلك ياديانا . . من أجل انقاذك . . لم يكن أمامى إلا هذه الوسيلة لكى اتخلص من « دليل الاثبات » الوحيد !!

* * *

لم ينتظر المفتش بيشو ليسمع أكثر من ذلك . . فهرول نحو المطبخ . . ومد يده إلى غطاء الآنية . . وأحرق أصابعه مرتين قبل أن يتمكن من رفعه . . ثم تناول الآنية كلها . . وأفرغ محتوياتها فى حوض المغسلة .

ولم يتمالك لوبين من الشعور بالشفقة . . وهو يرى « صديقه اللدود » يفتح صنبور الماء البارد . . ويفتش بأصابعه فى لهفة .

انه من الخير لنا ألا يرانا معا .

وحانت منه التفاته نحو المطبخ . . فخطرت له فكرة .

قال لها فجأة :

ـ آه . . إن لم يكن فى استطاعتنا تناول الطعام معا فى الخارج حتى نكون فى مأمن من أن يرانا بيشو أو غيره . . فإننا نستطيع أن نتناوله معا هنا . . وسوف أجلب معى غدا بعض الطعام . . وأعده بنفسى . . ولعلك لا تعلمى اننى من أمهر الطهاة فى فرنسا .

* * *

ومضى لوبين بعد قليل . . وهو أشد ما يكون تأكيدا من أنه يتعامل مع أفعى رقطاء لن تتردد فى أن تلدغه متى سنحت لها الفرصة .

كان واثقا من أن هذه الفتاة من أخطر النساء اللائى عرفهن فى حياته .

وإذا كانت قد وافقت على العرض الذى اقترحه عليها . . فانها فعلت ذلك على كره منها . . وتظاهرت بالموافقة والقبول .

وقد أحس لوبين بحاسته السادسة . . انها تضمر له شرا . . وخيانه . . أما متى ستضرب ضربتها . . فذلك ما لم يكن يعلم به

* * *

وذهب إلى منزلها بعد ظهر اليوم التالى . . وبيده حقيبة فيها

ما لذ . . وطاب . . وقدمت إليه ديانا كأسا من الشراب .

وبدأ يفرغ الحقيبة فى المطبخ . . ويشمر عن ساعديه . . ليبدأ العمل .

وسألته فى فضول :

ـ ماذا ستصنع من أنواع الطعام ؟

فأجابها وهو يقشر البصل :

ـ سأعد حساء شهيا من ذيل الثور . . سأقلى البصل والجزر بالزبد . . واضيف بعض الخضروات . . ثم أضع ذيل الثور فى الآنية وأملأها بالنبيذ . . واترك كل ذلك على النار فترة من الوقت .

ـ ومتى يتم نضجه ؟

ـ فى المساء . . وسوف أحضر لقضاء سهرة هادئة نستعرض فيها خطتنا . . وسأنتهز الفرصة فأزيل طبقة الدهن من الآنية فى المساء . . واتركه إلى الغد حتى يبرد . . ومن الأفضل أن تعطينى المفتاح إذ ربما أحضر قبلك . . وبهذه المناسبة . . هل حضر ساعى البريد ؟

ـ كلا . . إن الطرد الذى انتظره لم يصل بعد :

ومرة أخرى أحس انها تكذب . . فقال ضاحكا :

ـ كم أتمنى أن تعرفينى جيدا على حقيقتى . . لا كما تظنين وتتخيلين .

فرمقته بنظرة حادة وسألته :

ـ ماذا تعنى ؟

ـ أرجو أن تثقى بأننى لن أخدعك . . لقد اتفقت معك . . وأنا احترم اتفاقاتى دائما . . ولا أتراجع عنها إلا إذا كان الطرف الآخر هو البادىء .

فقالت فى فتور :

ـ هذا أمر طبيعى .

وعندما هم بالذهاب أعطته مفتاح الشقة . . وكان ذلك كافيا لإقناعه بأنه ليس من الضرورى تفتيش الشقة فى غيابها ! !

* * *

وكانت دهشة لوبين واضحة . . حين وصل إلى « مطعم آرنو » ظهر ذلك اليوم . . فوجد المفتش بيشو يجلس أمام إحدى الموائد .

قال له بعد أن حياه :

ـ كنت واثقا من أن هذا المطعم سيعجبك . . وانك ستصبح من زبائنه الدائمين .

فتلاعبت على شفتى بيشو ابتسامة غامضة وأجاب :

ـ اجلس ياعزيزى . . اننى لم أحضر لتناول الطعام . . بل جئت لأتحدث إليك فى موضوع خطير يمسك شخصيا .

فقطب لوبين حاجبيه . . وهتف متسائلا :

ـ موضوع خطير يمسنى شخصيا ؟ ! . . ماذا تعنى بحق السماء ؟ !

فقال المفتش بيشو فى تخابث :

ـ أرجوا أن تكون قد قضيت ليلة طيبة .

فرد عليه لوبين فى لهجة أشد خبثا :

ـ شكرا لك . . الجو بديع فى الواقع حتى أننى أشعر بنشاط منقطع النظير . . وكأننى ابن العشرين .

فكشر بيشو عن أنيابه فجأة . . وصاح فى حدة :

ـ ألم أحـــذرك من الاقـتراب حول الليدى شنـدلـر . . ألم أنصحك بأن تدعها وشأنها ؟ !

فازدادت دهشة لوبين . . وتزايد عجبه . . ورد محتجا :

ـ ومن قال لك اننى ضايقتها أو أزعجتها ؟ هل الذنب ذنبى إذا كان هذا المطعم على مقربة من فندقها ؟ وإذا كان . .

فقاطعه المفتش بصوت كالرعد :

ـ إنما أعنى تلك الفتاة « ديانا دارون » . . ماذا تطبخان معا ؟

فأجاب لوبين . . « وكان صادقا » :

ـ حساء من ذيل الثور .

ولم يكن المفتش بيشـــو بالـرجـل الـذى يحترم الاجـابـات الصــادقـة . . وقد ظن ـ على الفور ـ أن لوبين يسخر منه . .

فأمسك بساعده بيد كالفولاذ . . وقال وقد خرج عن طوره تماما :

ـ اسمع ياهذا . . إذا كنت قد كشفتك . . وأنذرتك . . فليس معنى ذلك اننى قد أديت واجبى . . وتخليت عن القضية . . لقد وضعت الليدى شندلر تحت رقابة صارمة . . مشددة ـ كما ذكرت لك ـ وقد لاحظت أن تلك الفتاة « ديانا » تلازمها . . ولا تكاد تفارقها . . فتحريت عنها . . وبحثت فى ماضيها . . فوجدت أن لها تاريخا حافلا فى عالم السرقات . . وقد أرسلت أحد رجالى لمراقبتها . . واقتفاء أثرها . . ووصلنى اليوم تقرير عنها . . وفيه انك تتردد على هذه الفتاة . . وتقضى معها وقتا طويلا .

فأشعل لوبين لفافة تبغ وقال فى هدوء :

ـ شكرا لك على هذه المعلومات القيمة . . والواقع اننى لم أكن أعلم أن للفتاة تاريخا حافلا بالسرقات . . لقد قابلتها فى أحد المطاعم . . فدعتنى لزيارتها . . وسأكون على حذر منها بعد الآن . . فربما تنشل حافظة نقودى .

فتميز بيشو غيظا من لهجة لوبين وقال مهددا :

ـ هناك أمر يجب أن تفهمه جيدا . . وهو انه من العبث تماما أن تظن انك تستطيع أن تلمس بيدك قطعة واحدة من مجوهرات الليدى شندلر . . اننى هنا ياعزيزى . . ولن أدعك تخدعنى

بأى حال من الأحــوال . . والــرأى عنــدى . . إذا توخيت الحكمة . . أن تلوذ بالفرار . . مادام عندك متسع من الوقت .

فقال لوبين متظاهرا بالرزانة والجدية :

ـ دعنى أفكر فى ذلك يابيشو . . أما الآن فاننى أحب أن أقول للفتاه اننا يجب أن نكف عن مقابلاتنا . . والواقع أن رجلا فى مثل مركزى . . ووضعى الاجتماعى . . .

فقاطعه بيشو قائلا فى شخرية . . وتهكم :

ـ الــواقــع أن رجــلا فى مثــل مركــزك . . ووضعــك الاجتماعى . . يجب أن يحزم أمتعته . . ويغادر باريس غدا . . قبل فوات الأوان .

ـ إذا كانت هذه رغبتك . . فيجب أن نتناول معا الآن طعام الوداع .

فنهض المفتش بيشـو من مقعده وهو يكاد ينشق كمدا . . ودفع حسابه . . وانصرف دون أن ينطق بكلمة واحدة .

***

فكر لوبين فى الأمر . . واستغرقته الخواطر .

ترى هل سيصارح بيشو الفتاة بيشو كما صارحه هو الآن ؟

أم انـه سيذهب إلى الليدى شنـدلر . . ويحذرها من ذات الشعر الذهبى ؟

وهل تعلم ديانا بالخطر الذى يهددها ؟

وماذا تضمر فى خبيئة نفسها ؟

لقد كان متحفظا فى زياراته لها . . حريصا ألا يدع أحد يراه ويتعقبه . . أما الآن فإن بيشو أراحه من هذا العناء . . وأصبح فى استطاعته أن يزور الفتاة علانية . . وفى غير تحرج . متى يشاء .

ولهذا لم يهتم برجل البوليس السرى الذى تبعه وهو فى طريقه إلى شارع مارسيه . . فلم يحاول أن يخدعه أو يفلت منه . . بل لقد رأى من اللباقة وحسن السلوك أن يتحول إلى الرجل . . حين دخل البيت . . ويلوح له بيده مودعا !!

***

وما أن وصل لوبين إلى شقة ديانا حتى أطل من النافذة خلسة . . فرأى الرجل الذى كان يتعقبه وهو يتحدث إلى زميل له كان رابضا فى الظلام . . ولم يلبث هذا الأخير أن ابتعد . . وترك الأول فى مكانه .

وانتقل لوبين إلى قاعة الاستقبال . . وأطل من نافذتها المطلة على الشارع الخلفى . . الضيق .

وكان الظلام حالكا فى هذا الشارع . . ولكنه استطاع أن يتبين شبحا يروح ويغدو فى هدوء وانتظام كما يفعل الحراس .

***

أضاء لوبين النور فى المطبخ . . ورفع آنية الطعام . .

وأضاف إليها مزيدا من النبيذ . . وأشعل نار الموقد . . ثم عاد إلى غرفة الاستقبال وهو يترنم باحدى الاغنيات الشائعة .

كان البيت محاصرا محكما . . يحيط به أعوان بيشو أحاطة السوار بالمعصم . . ولا يستطيع ـ سوى فأر هزيل ـ أن يدخل إليه أو يخرج منه . . دون أن يراه رجال البوليس السرى .

وأحس لوبين بذلك القلق الجارف الذى يشعر به من يسقط نجأة فى فخ شديد الاحكام . . لا مهرب منه . . ولا مخرج له .

وكان السؤال الذى خطر بباله . . وسيطر على تفكيره هو :

لمن نصب المفتش بيشو هذا الفخ . . ولماذا ؟

***

وقبل منتصف الليل بقليل عادت ديانا .

وسمع لوبين وقع خطواتها السريعة على أحجار الشارع .

ولكنه لم يتناول كأسه . . ويملأه بالنبيذ . . إلا حينما سمع حركة المفتاح فى قفل الباب .

ودخلت ديانا الفاتنة كنسمة من نسمات الربيع . . وانبعث فى الغرفة شذى عطرها الفواح .

هتفت فى مرح :

ـ أنت هنا . . أرجو ألا تكون قد انتظرت طويلا :

وكانت فى صوتها رنة سرور . . وابتهاج

وأجاب لوبين فى هدوء :

ـ نعم . . اننى هنا منذ ساعة .

ثم استطرد دون أن ينظر إليها :

ـ إن للباب مزلاجا من الداخل . . فاحكمى غلقه .

ولما سمع حركة المزلاج . . رفع رأسه . . وقدم للفتاة كأسا وهو يقول :

ـ هى ذى كأسك .

فتناولت الكأس . . وابتسمت .

كانت متوردة الوجنتين . . لامعة العينين بفعل برودة هواء الليل .

قال لها فجأة :

ـ ان الوقت ضيق . . ويجب ألا نضيع دقيقة واحدة .

فهتفت فى دهشة :

ـ لماذا ؟ ! ماذا حدث ؟!

فأجابها بصراحة ودون موارية :

ـ لقد افتضح أمرنا . . ورجال البوليس فى أثرنا . . بعد أن استرابوا فى علاقتك بالليدى شندلر . . وعرفوا كل شىء عنك . . لقد صارحنى المفتش بيشو بكل شىء . . وهذا البيت مراقب الآن من كل جانب . . وإذا كنت فى شك من ذلك . . فانظرى بنفسك من النوافذ .

فقالت وقد هزتها المفاجأة :

ـ انني اصدقك . . ولكن . . لماذا ؟

فأجابها ببساطة :

ـ لأن بيشو يريد اعتقالنا والجواهر معنا .

* * *

كانت رمية مقصودة من لوبين . . ظهر رد فعلها على الفور فى الحركة اللاإرادية التى أطبقت بها أصابع ديانا على حقيبتها .

وكان فى هذه الحركة الكفاية . . بالنسبة إلى لوبين .

قال لها :

ـ اعلم انـك تسلمت العقـد المزيف اليوم . . واستبدلته بالعقد الحقيقى . . ولكنك فعلت ذلك دون علمى . . وبذلك نكثت الاتفاق المبرم بيننا .

فهتفت قائلة فى اضطراب :

ـ كلا . . كلا . . هذا غير صحيح .

وفى هذه اللحظة سمعا وقع أقدام ثقيلة تصعد السلم .

واستطرد لوبين :

ـ لقـد كانـوا يراقبـونك طوال الوقت . . ويتعقبونك طول الطريق . . انهم على ثقة من أن العقد معك . . ولم تتخلصى منه بعد . . انهم يعرفون انه معك هنا . . وانك لا تستطيعين الافـلات . . فماذا فى نيتـك أن تفعلى ؟ هل ستقذفين به من النافذة ؟ ان البيت مراقب من كل اتجاه . . محاصر من كل

ناحية .

هل تفكرين فى إخفائه ؟ انهم سيبحثون عنه . . ويهدمون البيت حجـرا على حجر . . إذا اقتضى الأمر . . انك فى فخ شديد الخطر . . بالغ الاحكام .

فغمغمت فى تخاذل :

ـ ياإلهى . .

وفى نفس اللحظة سمعا قرعا متواصلا على الباب .

قال لوبين :

ـ على رسلك ايتهـا العـزيزة . . لقد أضعت فرصتك . . اعطنى حقيبتك بسرعة .

فهتفت فى عصبية :

ـ كلا . . كلا .

فرد عليها بحدة :

ـ ايتها الحمقاء . . ماذا سيكون مصيرك بعد عشرة أعوام فى السجن ؟

وانتزع الحقيبة من يدها عنوة . . وقال لها بلهجة الأمر .

ـ افتحى الباب .

وأسرع إلى المطبخ .

***

. . . نل المفتش بيشو فى هدوء . . وبغير تعجل .

كان يمشى ببطء مشية الـواثق . . المعتد بنفسه . . الذى يشعر بأن القانون معه . . والدليل فى يده . . وسلطة الحكومة تحت تصرفه . . وليس ثمة ما يضطره إلى الاسراع . . والاندفاع .

قال فى رزانة ووقار :

ـ اننى من إدارة البـوليس يآنسـة دارون . . ولا شك أن « زميلك » قد حدثك عنى . . يؤسفنى أن أضايقك قليلا . . فقد جئت بشأن عقد الليدى شندلر .

فأجابت وهى تتظاهر بالسذاجة :

ـ لست أفهم ياسيدى عم تتحدث .

فقالت فى رفق :

ـ من الطبيعى أن تقولى هذا . . ومهما يكن من الأمر . . فان العقـد لم يخرج من هذا المنـزل بعـد دخـولـك بأى حال من الأحـوال . . ولا أعتقـد انـه طار من النافذة . . ويمكننا أن نتحقق من ذلك .

وعبر البهو إلى قاعة الاستقبال . . وفتح نافذتها . . وأرسل من فمه صفيرا خاصا .

واختار لوبين هذه اللحظة بالذات للخروج من المطبخ . . وهو يهتف فى مرح :

ـ أهـذا أنت يا بيشـو؟ ماذا تفعل هنا ؟ هل تقوم بتمثيل

مسرحية « روميو وجولييت » لحساب ادارة البوليس السرى .

ولـوح بيشـو بيده من النافذة لشخص قابع فى الظلام عند أقصى الشارع . . ثم تحول عن النافذة على مهل . . وقال فى لهجة هادئة :

ـ آه . . كنت أعلم انك هنا طبعا .

وحدق ببصره فى الحقيقة المتدلية من يد لوبين . . وقال :

ـ لقد وفرت علينا كثيرا من المتاعب . . أرجو المعذرة .

وسحب الحقيبة من يد لوبين . . وفتحها بسرعة . . وبعثر محتوياتها على الطاولة القريبة منه .

وصاح لوبين محتجا :

ـ هل تتفضل فتوضح لى معنى هذه التصرفات الطائشة ؟ !

فأجاب بيشو وهو مقطب الجبين :

ـ حسنا . . سأوضح لك كل شىء . . ولكن أخبرنى . . أين أخفيته ؟

ـ ماذا تعنى بحق الشيطان ؟

ـ انت تعرف ما أعنى . . أين العقد . . عقد ليدى شندلر ؟

فقالت ديانا :

ـ عندما رأيته آخر مرة كان على صدر الليدى .

فرد بيشووهو يضغط على أسنانه :

ـ اننى أعمـل فى مواعيد منتـظمـة ياآنسة . . ووقتى ليس

ملكى . . ولا أريد أن أقضى الليلة كله هنا . . وبهذه المناسبة أحب أن أقول لك اننى تحدثت إلى الليدى شندلر طويلا قبل أن تجتمعى بها هذا المساء . . وقد اتفقت معها على أن تعطى أحد رجالى إشارة خاصة إذا لاحظت خلال السهرة انك تصرين على فحص العقد لأى سبب .

وقد أعطت الليدى هذه الإشارة وهى تودعك . . وعندى من الأسباب ما يحملنى على الاعتقاد بأنك انتهزت فرصة وجود العقد بين يديك فاستبدلتيه بعقد آخر زائف . . واننى على ثقة بأن العقد الحقيقى هنا . . فى هذه الشقة . . ومادام هنا . . فلابد أن نجده . . فاذا قدمه أحدكما إلى . . ووفر على متاعب البحث والتنقيب . . فاننى لن أكون من القسوة كما تظنان .

فقال لوبين :

ـ هل تعنى اننا فى هذه الحالة لن نقضى عشرة أعوام فى ظلام السجون .

ـ ربما . . من يدرى ؟

فأشعل لوبين لفافة تبغ . . واستطرد :

ـ لقد كنت طوال حياتى ممن ينفرون من الظلام . . والاشغال الشاقة .

ثم نظر نحو ديانا . . وتابع حديثة قائلا :

ـ ولا شك أن هذه الأيدى الناعمة لم تخلق كذلك لممارسة

الأشغال الشاقة . . والواقع اننى لا أظن أن كل ما فى الدنيا من لآلىء ومجوهرات . . تستحق - سيما إذا لم يكن فى نية الانسان الاحتفاظ بها - أن يضحى فى سبيلها بحريته ولو ساعة واحدة . . فكيف بالسنين الطويلة ؟ !

فصاح المفتش بيشو وهو يتميز غيظا وغضبا :

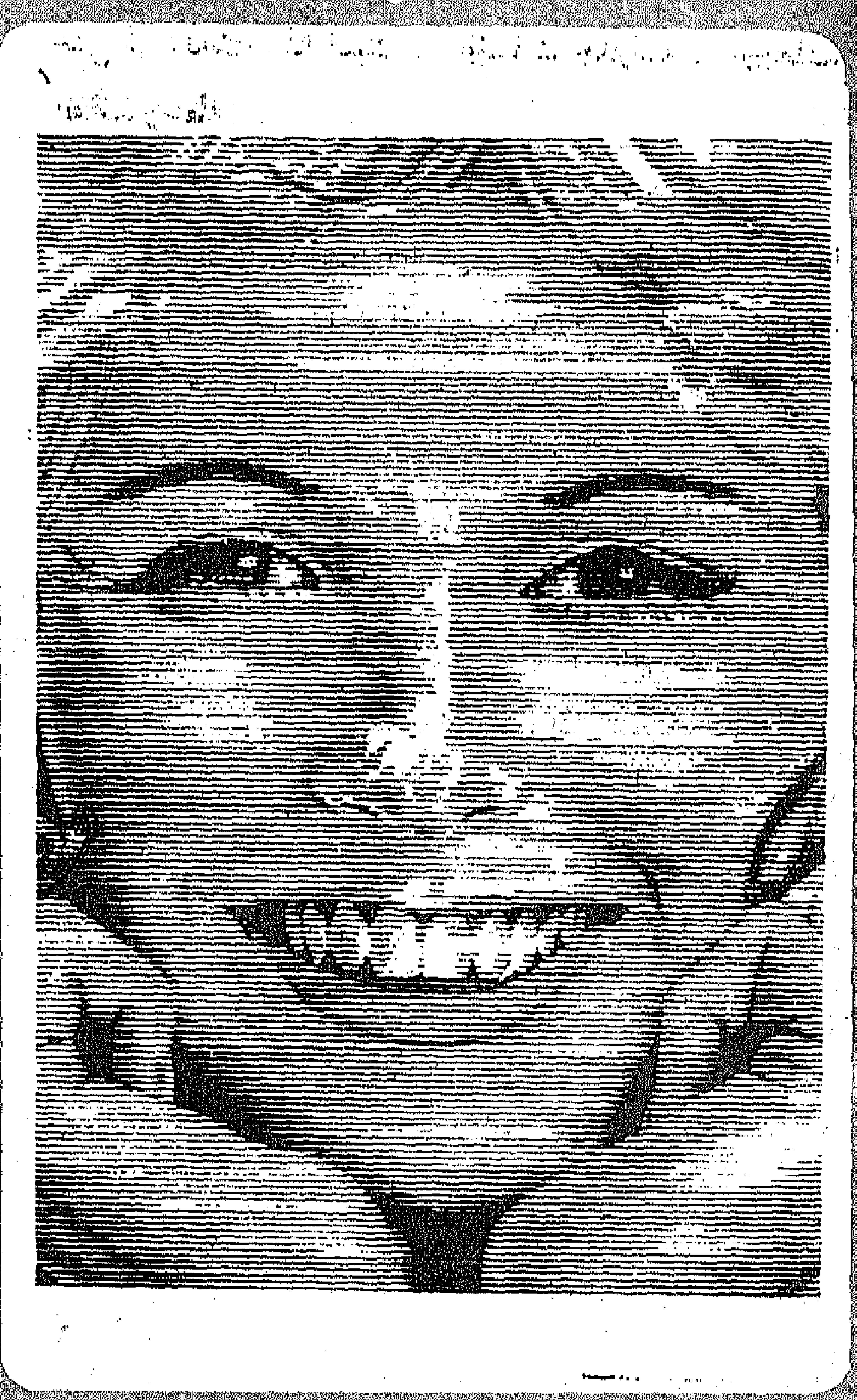
- كفى هذرا . . ألا تدرك انك فى ورطة لن تخرج منها ؟

فأجابه لوبين فى برود :

- لن أتأكد من ذلك . . حتى تثبته لى بالدليل والبرهان . . وبعد فان الحقائق فى منتهى البساطة . . لنفترض أن الآنسة ديانا استبدلت العقد كما تزعم . . وأن أحد الخبراء قرر غدا أن العقد الذى تتحلى به الليدى شندلر هو عقد زائف . . فهل تستطيع الليدى أن تثبت أن أحدا لم يمس العقد أبدا من قبل ؟ ان عملية الاستبدال يحتمل أن تكون قد تمت فى أى وقت . . وأى مكان . . وبواسطة أى انسان . . بل وبواسطة المهراجا نفسه الذى باع العقد . . فماذا لديك أنت من الأدلة ضد ديانا انها المفتش العبقرى ؟ لا شىء . . لا شىء على الاطلاق . . ان الدليل الوحيد هو أن تجد العقد الوردى فى حوزتها . . وهذا ما لن تستطيعه أبدا !!

فصرخ بيشو بصوت كعواء الذئاب :

- هل لا أستطيع حقا ؟ حسنا . . اننى سأعثر عليه .



حتى لو هدمت هذا البيت . . ونسفت جدرانه . . وجعلته انقاضا وحطاما .

- حتى لو فعلت ذلك . . فانك لن تجد العقد .

قال لوبين ذلك بلهجة المطمئن . . الواثق . . المتأكد تماما مما يقوله . . فمرت بجسد المفتش بيشو رعشة فضحها ارتجاف صوته . . حين ردد فى قلق بالغ . . وعصبية واضحة .

- وكيف يمكن ذلك ؟ ! كيف يمكن ذلك ؟ !

فتناولت لوبين زجاجة من النبيذ . . وملأ كأسه . . وأجاب وعلى شفتيه ابتسامة هادئة :

- ان مصيبتك ياعزيزى بيشو هى انك لا تهتم بما يقال لك . ولا تصغى إلى من ينصحك . . وإذا أصغيت . . فانك تنسى ما سمعت . . هل تذكر ما قلت لك منذ يومين عندما تناولنا الطعام معا ؟ لقد تحدثنا فى أمور كثيرة . . فكان شعورك . . وأنت تصغى إلى . . هو اننى رجل ثرثار ... اهرف بما لا أعرف . . فى حين اننى كنت طوال الوقت أحاول أن أفهمك بأن الذين يعلمون فى مهنتنا يجب ألا يفوتهم معرفة شىء . . وعندما قلت لك صباح اليوم اننى وديانا نصنع حساء من ذيل الثور يمزج عادة بالنبيذ . .

فرفع بيشو رأسه . . ولمعت عيناه ببريق الفهم . . ونور الادراك .

واستطرد لوبين :

ـ بل اننى لم أكن على علم بأن الليدى شنـدلر موجودة فى «باريس » إلى أن أخبرنى ذلك الرجل الذى كان يتناول الطعام معى . . وأكثر من ذلك انه تحدانى أن أسرق العقد . . هل تعرفين من كان ذلك الرجل ؟ انه أحد مفتشى البوليس .

فبدت فى عينى الفتاة نظرة تنم عن الخوف وصاحت :

ـ تبا لك . . تبا لك .

ولكنها تمالكت نفسها بسرعة . . وضحكت ضحكة مقتضبة واستطردت :

ـ لماذا تجلب لى خيبة الأمل أيها الرجل ؟

ونهضت من مقعدها . . ومشت إلى النافذة .

فنهض بدوره . . وتبعها فى خمول . . وسألها :

ـ وبهذه المناسبة . . متى تتوقعين استلام العقد الزائف ؟

ففكرت قليلا . . ثم قالت :

ـ ربما بعد غد .

وهنـا أيقن لوبـين بأنها تراوغـه وتخـدعه . . ولكنه احتفظ بشكوكه لنفسه . . ومد إليها يده بكأسه لتملأه مرة أخرى وهو يقول :

ـ لقد أخبرتك عن الرجل الذى كان يتناول الطعام معى . . وقلت لك انه مفتش البوليس . . انه المفتش بيشو . . وأعتقد

وأخـرج بيشو يديه أخيرا . . فاذا بين أصابعه خيطا طويلا كالخيط الذى توضع فيه حبات العقود !!

* * *

كان بيشـو يرغب من صميم قلبه أن يهدم الشقة على من فيها . . ولكن ما الفائدة الآن ؟ وما جدوى الغضب والعنف بعد أن اختفى « دليل الاثبات » بهذه الطريقة الشيطانية ؟

ان ذوبـان اللآلىء فى النبيذ حقيقة تاريخية لاشك فيها . . ولا سبيل إلى فحصهـا . . حتى لو هدم اسقف فوق رأس لوبين . . ورأس ديانا . . ورؤوس رجال البوليس السرى الذين أحضرهم معه لكى يستعيدوا العقد النادر .

* * *

وقال لوبين أخيرا بصوت رقيق :

ـ ان لدى اقـتراحا يشق على أن أقترحه على مفتش بوليس محترم مثلك . . ولكنى أرى فى سبيل المحـافـظة على مركـزك وكرامتك ووظيفتك . . أن تدع الليدى شندلر على جهلها . . فلا تجعلهـا تشعر بأن عقدها قد استبدل . . بل يمكنك . . بشىء من اللباقة والكياسة . . أن تقنعها بأنك أدخلت الذعر فى قلوب اللصـوص . . فلاذوا بالفرار . . ولن يزعجوها بعد الآن . . ومن يدرى . . فقد تنقضى عشرات السنين قبل أن تكتشف الليدى أن عقدها قد اس بدل . . ويومئذ سيكون من

المتعذر عليها أن تثبت أن الاستبدال تم فى باريس .

فرمقه بيشو شذرا . . ثم قال وهو يكاد ينشق غيظا .

ـ اقسم بكل مقدس إننى إذا رأيت أحدكما فى هذه المدينة غدا . . صباحا . . فإننى لن أتردد فى أن أدبر له تهمة قتل مع سبق الإصرار

ثم دار على عقبيه . . وانصرف مسرعا . . بعد أن أغلق الباب خلفه بصوت ارتجت له الجدران .

* * *

نظر لوبين إلى ديانا . . وقال لها بعد انصراف بيشو :

ـ لم يكن هناك سبيل لأن أفعل غير ما فعلت . . ولكننى أرجو أن تكونى قد تعلمت درسا فى الصراحة . . والوفاء . . وبهذه المناسبة . . هل ترافقينى إلى نزهة فى الخلاء ؟

فقالت فى مزيج من الغضب والاعجاب :

ـ ان كل ما أرجوه هو ألا أجد نفسى معك فى مكان واحد بعد الآن .

* * *

وفكر لوبين فى أمرها .

انه لما يؤسف له حقا أن تكون بهذا الجمال . . وهذا الدهاء . . وأن تكون مطبوعة على الغدر والخيانة على هذا النحو .

وربما يؤسف له أكثر من ذلك . . انه كلف نفسه كل هذا العناء لكى يعلم شخصين اثنين . . لا ثالث لهما . . بعض المعلومات العامة التى لا أصل لها !!

ولو ان بيشو . . وديانا كانا على شىء من سعة الاطلاع . . لعلما أن حكاية اللآلىء التى تذوب فى النبيذ ليست سوى خرافة . . لا أساس لها من الصحة . . حتى أن التجارب العلمية نفتها نفيا قاطعا .

* * *

وسره حقا . . وهو يقود سيارته إلى الضواحى . . أن يضع يده فى جيبه . . من وقت إلى آخر . . لينعم بلمس اللآلىء الوردية الناعمة لعقد ليدى شندلر النادر الشهير !!



القسم الأول

الخدعة الكبرى



وصل أرسين لوبين إلى « مقهى بيبول » فى الساعة السادسة من مساء يوم من أيام الصيف بعد عودته من « لندن » . . عقب مغامرته المعروفة التى استولى فيها على عقد الليدى شندلر .

واختار مائدة تطل على الشارع . . وجلس فى تكاسل وخمول يرقب الناس والسيارات فى تأمل واستمتاع .

وبدأ رواد المقهى يتزايدون . . ويحتلون المقاعد حتى أزدحم المكان بهم على سعته .

وفى حوالى الساعة السادسة والنصف وصل رجل قصير القامة . . أنيق المظهر . . يضع نظارات سوداء على عينيه . . وجلس أمام المنضدة المجاورة لكرسى لوبين . . وطلب من ساقى المقهى أن يأتيه بقدح من البيرة . . وبعض الشطائر .

* * *

تفرس لوبين فى وجه الرجل قليلا . . ثم عاد إلى تأملاته . . ولم يلبث أن وقع بصره على فتاة بارعة الجمال . . شديدة الجاذبية . . أنيقة الثياب كانت تستند إلى سيارتها الفخمة . . وتتحدث مع أحد معارفها . . فأطال النظر إليها . . وقد بدت على وجهه علامات الاعجاب الشديد .

* * *

وراقب الرجل القصير القامة وجه لوبين الناطق بآيات التقدير والاعجاب . . ثم أرسل بصره إلى المرأة التى نالت هذا التقدير . . وحظت بهذا الاعجاب . . ومالبث أن مال فوق المنضدة وقال فى هدوء تام :

ـ دعنى أشاطرك الاعجاب بهذه السيدة الحسناء . . فهى . . والحق يقال . . ذات وجه ساحر . . وقوام بديع . . وجاذبية خلابة يطيش لها الصواب . . أليس كذلك يا مسيو لوبين ؟

* * *

إلتفت لوبين إلى الرجل . . وتأمله بامعان . . ولكنه لم يذكر

أن له به سابق معرفة . . ومع ذلك فقد ابتسم ابتسامة رقيقة وقال له بغير اكتراث :

ـ انى أشاركك هذا الرأى ياسيدي . . ولكنى لست مسيو لوبين . . انى أدعى بيير لاروش . . وأنا معروف فى أوساط « باريس » . . ويسعدنى أن أكون فى خدمتك دائما .

* * *

ابتسم الرجل القصر ابتسامة عريضة . . وقال بسرور واضح :

ـ لعلك تسمح لى بعدم الموافقة على ما تقوله . . فأنت أرسين لوبين بالتأكيد . . لأنك الرجل الوحيد الذى إذا رآه المرء مرة واحدة لا ينساه أبدا .

* * *

وأخرج الرجل من جيبه علبة صغيرة ذهبية قدم منها لفافة تبغ إلى لوبين . . ثم قال :

ـ لقد قرأت أخبار نضالك مع المفتش جانيمار منذ سنوات مضت . . لقد كاد أن ينجح فى القبض عليك . . أليس كذلك يامسيو لوبين ؟

* * *

ابتسم لوبين . . وأشعل لفافة . . وهز كتفيه استخفافا . . ثم أجاب الرجل قائلا :

ـ نعم ياسيدى . . اننى لازلت أذكر كل هذه الحوادث . . فقد قرأت تفاصيلها فى الصحف . . كما قرأتها أنت .

فاستطرد محدثه يقول فى صوت منخفض :

ـ اننى أدعى بيار روفيه . . أحد أصحاب « محلات بيار روفيه للمجوهرات » فى « شارع مارتينيز » . . وانى مثلك كثير الاهتمام بالأحجار الكريمة . . والجواهر النادرة . . حتى ولو كانت مسروقة !!

* * *

ازدادت ابتسامة لوبين اتساعا .

ما أعجب الأقدار .

انها تضع فى طريقه دائما كل غريب وعجيب . . وتأبى عليه الهدوء والراحة . . بل تخلق له المغامرات خلقا . . ثم تدفعه إليها دفعا . . فإذا هو بين نارين . . نار الخطر . . ونار القدر .

هكذا كانت حياته . . وهكذا ستكون .

فلتكن إذن مشيئة الأقدار .

* * *

واستطرد الرجل القصير حديثه قائلا :

ـ ما أعجب هذه الدنيا . . لقد خطرت لى فكرة بديعة فى ذات اللحظة التى كنت تنظر فيها بإعجاب إلى تلك السيدة الجميلة .

فسألها لوبين فى هدوء :

ـ وما هى « الفكرة البديعة » التى خطرت ببالك ؟ وما صلتها بى ؟

فقال الرجل فى حماس :

ـ هل تعرف الكونتس دى جوفنيل ؟

ـ لم أسمع عنها بعد .

ـ انها زوجة رجل شديد الثراء . . يكبرها بثلاثين سنة على الأقل . . وقد تزوجته بالتأكيد من أجل أمواله الوفيرة . . وثرائه العظيم .

ـ يالها من إمرأة . .

ـ نعم . . صدقت . . انها شديدة الذكاء . . بالغة الطموح . . وقد تعرفت عليها . . وأعجبتنى شخصيتها . . وكثيرا ما كلفتنى بشراء مجموعات كبيرة من الأحجار الكريمة . . وكنت فى بعض الأحيان أعود فاشترى بعض هذه المجموعات منها . . أو من بعض الذين كانت تهديهم هذه الجواهر . . أو من الذين كانوا يسرقونها من غرفتها أثناء زيارتهم لها .

ولاذ تاجر المجوهرات بالصمت قليلا ليمعن النظر فى وجه لوبين . . فلما لم يجده كثير الاهتمام بما يحدثه به . . مضى يقول :

ـ لقد اتصلت بى الكونتس بالتليفون صباح اليوم .. وسألتنى أن أقرضها خمسين ألف فرانك . . ولكنى اعتذرت . . وإن كنت أعتقد اننا لو تعاونا معا بصدق واخلاص . . اذن لأمكننا العثور على وسيلة تمكن الكونتس من الحصول على المال اللازم لها . . وفى نفس الوقت نستطيع أن نحصل على مبالغ أخرى لنا .

ومال تاجر المجوهرات على المنضدة وسأل لوبين بصوت خافت :

ـ ألم تسمع « بمجموعة جواهر جوفنيل » ؟ ألم تفكر فى الاهتمام بها ؟

* * *

وتطلع لوبين فى وجه محدثه فى دهشة واستغراب ثم أجابه .

ـ يبدو انكم تعانون بعض الكساد فى بيع اللآلىء والمجوهرات هذه الأيام لدرجة انكم تفكرون بمثل هذه الطرق الملتوية للحصول على المال . . ومهما يكن من الأمر . . فقد تذكرت الآن انى سمعت من قبل بمجموعة جواهر جوفنيل . . وانها . . بالتأكيد . . مجموعة تثير الاهتمام . . ما فى ذلك شك .

فابتسم تاجر المجوهرات فى ارتياح وقال :

ـ لا ريب أن القدر هو الذى دبر هذا اللقاء بيننا . . بل هذه

الفرصة السعيدة .

ثم انتصب واقفا وهو يقول :

ـ ما رأيك فى تناول طعام العشاء علي مائدتى ؟

فوافق لوبين . . وأحنى رأسه شاكرا .

وهكذا بدأت المغامرة الجديدة .

* * *

جلس الرجلان يتحدثان فى ركن أحد المطاعم الفاخرة .

قال تاجر المجوهرات :

ـ لنبحث موقف الكونتس جوفنيل . . انها جميلة . . وفى ريعان الصبا . . تهوى المغامرات . . وتقدم عليها بشغف عظيم . . ومع أن زوجها لا يعطيها الكثير من المال إلا انه يغدق عليها الجواهر الرائعة الثمينة بغير حساب . . وهو رجل شديد الغيرة . . يقضى وقته فى تصريف شئونه . . ويترك زوجته وحدها . . فتلجأ إلى المعارف والأصدقاء بحثا عن التسلية والترويح عن النفس .

وأمسك مسيو روفيه عن الكلام قليلا ثم استطرد :

ـ ومادام الموقف كما وصفته لك . . فما رأيك فى النتائج التى سوف يتمخض عنها بخله . . وشحه . . وتقتيره على زوجته ؟ ان الجواب واضح بالتأكيد . . فكلما احتاجت الكونتس إلى مبلغ من المال جاءتنى بقطعة من الجواهر لبيعها . . ولا اكتمك

انى اشتريت منها . . حتى الآن . كمية كبيرة . . بأبخس الأسعار .

فسألها لوبين :

ـ وما هو رأى الكونت ؟

فضحك مسيو روفيه وأجاب :

ـ انـه لا يعرف الحقيقة حتى الآن وكلما اختفت قطعة من المجـوهـرات قالت الكونتس لزوجها انها فقدتها ولما كان يعرف إهتمامها . . ونسيانها . . فانه يصدقها دائما . . بل ويبادر إلى تعويضها بقطعة ثمينة أخرى .

ـ هذا عجيب حقا .

ـ هل تعلم أن هذا الكـونت الغبى قد اشترى حلية معينة أربع مرات دون أن يشك فيها . . أو يفطن إلى أمرها .

فابتسم لوبين .

كان يعرف هذا النوع من الرجال .

واسترسل تاجر المجوهرات قائلا :

ـ والواقع أن « مجموعة مجوهرات جوفنيل » تعتبر من أنفس المجمـوعات فى العالم . . وأكثرها روعة . . وأغلاها قيمة . . ولكن الشركات ترفض التأمين عليها . . وعلى جواهر الكونتس بصفـة خاصـة . . بعـد أن شاعت الأخبـار عن تبذيرها . واهتمامها . . وعدم مبالاتها .

ويقال أن ثمن المجموعة لا يقل عن ربع مليون من الفرنكات الذهبية . . وأن الكونتس تحتفظ بها فى صندوق من الصينى تضعه على منضدة فى غرفة نومها بمنزلها الذى يقع فى « شارع سان جرمان » بازاء منزل صديق لى يدعى المسيو مارتيل .

وسأله لوبين فى فضول :

ـ وما الذى تريد منى عمله ؟

ـ لقد سألتنى الكونتس قرضا بخمسين ألف فرانك كما أخبرتك . . وكان جوابى أن لا مانع عندى من تقديم هذا المبلغ على شرط واحد . . هو أن تسلمنى « مجموعة المجوهرات » لاحتفظ بها كرهينة لحين سداد المبلغ . . ولكنها رفضت بغضب . . وكأنه لا يحق لى أن أحافظ على أموالى . . وأن اتخذ الاحتياطات اللازمة أمام إهمالها . . ونزواتها . . كما تفعل شركات التأمين فى مثل هذه الحالات .

وابتسم مسيو روفيه تاجر المجوهرات ابتسامة ذات مغزى واسترسل يقول :

ـ الرأى عندى أن تذهب على الفور لزيارة صديقى المسيو مارتيل . . فهو يتوقع مثل هذه الزيارة بين لحظة وأخرى . . والمعروف انك رجل بارع . . شديد المهارة . . لا تعوق طريقك الخزائن . . ولا الأبواب . . ولا النوافذ المغلقة . .

والأمر هين . . ميسوز بعد ذلك . . فما هى إلا قفزة جزيئة من نافذة غرفة المسيو مارتيل حتى تجد نفسك فى شرفة منزل الكونتس .

ولما كانت الكونتس قد اعتادت أن لا تغلق نافذة مخدعها . . فلن تحتاج بعد هذا إلا إلى التسلل بحذر إلى الداخل . .

* * *

وصمت تاجر المجوهرات لحظة . . وراح ينعم النظر فى وجه لوبين ليرى تأثير كلامه عليه . . ومدى اقتناعه به .

ولكن لوبين ظل هادئا . . جامدا . . لا ينم وجهه عن شىء . . فهز الرجل رأسه . . ومضى يقول :

ـ الخطة . . كما ترى . . بسيطة . . محدودة . . لا تحتاج إلى تعب وعناء . . فاذا ما استوليت على الجواهر . . وجئتنى بها . . أعطيتك مائة ألف فرنك ذهبا .

وبدأ على لوبين انه سيقول شيئا . . ولكن مسيو روفيه تابع حديثه قائلا :

ـ ومتى حصلت على هذه المجموعة . . فانى سوف اتصال بالكونتس . . وأخبرها بأنى على استعداد لإقراضها ما طلبته مقابل إيصال بالمبلغ . . فما رأيك فيما غرضته عليك ؟

فسأله لوبين :

ـ وإذا عرف الكونت بالسرقة ؟

- انه لن يعرف بها . . فقد طلب من زوجته . . وألح عليها أن تودع مجموعة الجواهر في أحد البنوك . . ولكنها لم تفعل حتى الآن . . ولا تزال تحتفظ بالمجوهرات في منزلها .

- ألا تعرف السبب ؟

- في استطاعتي الجواب على سؤالك عن طريق الاستنتاج . . وليس على أساس اعتقاد جازم . . ان الكونتس مولعة بشاب سيء السمعة والأخلاق . . وقد اتصلت بي منذ أيام . . وسألتني إذا كان في مقدوري أن أصنع لها مجموعة مزيفة لجواهرها الشهيرة . . فلما سألتها عن السبب ردت على باجابة ملتوية لم أفهم منها شيئا ؟

ولكنني لا أكتمك إني أشك في الأمر . . وأترك لك مهمة تخمين موقفها . . أو تفسيره بطريقتك الخاصة .

- لعلك تعتقد انها تريد أن تعطى هذه المجموعة إلى عشيقها . . على أن تحتفظ بالمجموعة المزيفة مكانها . . فإذا حصلنا نحن على المجموعة الأصلية . . لم يكن في هذا ما يبدل جوهر الموقف إلا من حيث حرمان العشيق الفاسد من الحصول على المجوهرات الأصلية .

- هذا ما اعتقده فعلا . . فما رأيك أنت ؟

- سوف أجرب حظى .

وصمت لوبين لحظة . . ثم قال بعد أن تناول رشفة من قدح

القهوة :

ـ سأحصل على مجموعة المجوهرات غدا صباحا . . فمتى . . وكيف تريد منى أن أسلمها إليك ؟ ومتى . . وكيف ستدفع المبلغ الذى اتفقنا عليه ؟ اننى سأغادر « باريس » فى الساعة الحادية عشرة من صباح الغد . . فكيف نبرم هذه الصفقة قبل هذا الموعد ؟

فأطرق تاجر المجوهرات برأسه مفكرا . . ثم قال :

ـ سوف أرسل لك المبلغ الذى اتفقنا عليه إلى منزلك فى الساعة العاشرة من صباح الغد . . ومتى استلمت المبلغ من الرجل الذى سوف أرسله إليك . . فعليك تسليمه المجموعة التى أرجو من باب الاحتياط أن تلفها فى لفافة عادية لا تثير الاهتمام . . فهل توافق على هذا الإجراءات ؟

ـ كل الموافقة .

* * *

وفى الثالثة صباحا . . تسلل لوبين إلى غرفة المسيو مارتيل . . صديق تاجر المجوهرات . . ثم وثب فى الهواء . . فاستقر فى شرفة الكونتس الخلفية .

وتريث قليلا . . وأرهف أذنيه .

كان الهدوء تاما . . والسكون شاملا .

وقف مكانه لحظة . . ثم تقدم بحذر من الباب . . خطوة

بخطوة . . حتى اطمأن تماما . . فخطا إلى داخل الغرفة .

وما أن أزاح الستار جانبا حتى شاهد الكونتس مستلقية على فراشهـا . . وهى مستغـرقة فى النوم . . وعلى شفتيها ابتسامة عذبة . . هادئة . . وكأنها هى فى دوامة من الأحلام .

***

كانت هذه المرة الأولى التى يشاهد فيها الكونتس جوفنيل .

تأملها مفكرا . . وشعر بأن وجهها ـ رغم بعض الاختلافات التجميلية ـ من الوجوه المألوفة التى يعرفها حق المعرفة .

أمعن النظر فى ملامحها مرة أخرى بحرص وعناية . . وحاول أن يتذكر .

وعلى حين بغتته عرفها .

وكادت أن تفلت من فمه صيحة ودهشة . . وعجب .

***

لم تكن الكـونتس جوفنيل إلا غريمتـه الأفاقة الحسناء . . ذات الشعر الذهبى . . ديانا دارون . . أو مارى تويد . . أو غير ذلك من الأسماء التى تنتحلها تلك الشيطانة الصغيرة التى حاولت خداعه أكثر من مرة . . وكادت أن تظفر . . فى محاولتها الأخيرة معه . . بعقد الليدى شندلر . . لولا أن تدارك الموقف ببراعته المعهودة فى آخر لحظة .

***

ولم يتمالك لوبين من الابتسام .

لاشك ان الشقية قد أوقعت الكونت جوفنيل العجوز فى شباكها . . وسعت إلى الزواج منه بهدف الاستيلاء على ثروته . . ومجوهراته . . ولابد انها رسمت خطتها بدقة وإحكام . . حتى إذا ما حققت غرضها . . ونالت مرادها . . لاذت بالفرار . . واختفت عن الأنظار . . لكى تظهر من جديد فى شخصية أخرى من شخصياتها العديدة . . الزائفة .

* * *

وتقدم لوبين إلى الغرفة بخطى وئيدة . . ثابتة .

واقترب من درج المنضدة التى تضع فيه « الكونتس » حليها . . ومجوهراتها .

وفتح الدرج بمفتاح خاص . . فوجد صندوقا من الصينى . . بديع الصنع . . رائع النقوش . . ففتحه بمفتاح صغير أعطاه له تاجر المجوهرات مسيو روفية . . واتسعت عيناه عجبا . . وإعجابا .

رأى أمامه « مجموعة جواهر جوفنيل » تتألق بآلاف الأضواء . . كأنها شعلة من نار .

* * *

ولم يتردد .

أخرج الجواهر من الصندوق . . ووضعها فى جيبه . . ثم

أغلق الصندوق . . وأعاده إلى مكانه .

وخطا نحو الشرفة . . وهو يتلفت حوله فى حذر بالغ .

وفجأة . . خطر له خاطر جديد فى هذه اللحظة . . فعاد أدراجه . . وأرسل بصره داخل الغرفة من خلال ستائرها . . ثم جلس على أرض الشرفة . . وظل فى مكانه . . حتى دقت الساعة الرابعة صباحا .

***

وفى صباح اليوم التالى . . وصل رسول مسيو روفيه فى تمام الساعة العاشرة . . إلى مسكن لوبين . . وسلمه ظرفا معنونا باسم « المسيو بيير لاروش » . . فقدم له لوبين طردا صغيرا . . ملفوفا بورقة عادية .

وما أن انصرف الرسول . . حتى غادر لوبين منزله . . وتوجه على التو إلى أحد المقاهى . . وفض الظرف . . فوجد فى داخله أوراقا مالية بمائة ألف فرنك . . فأودعها جيبه وهو يبتسم ابتسامة تسيل رقة وعذوبة .

***

وبعد بضع دقائق غادر المقهى . . وعاد إلى الشارع الذى يقع فيه منزله . . وألقى نظرة . . من بعيد . . على باب المنزل . . فوجد . . كما توقع . . سيارة من سيارات البوليس . . فابتسم ابتسامة عريضة . . وسار فى سبيله . . وهو

يصفر بفمه لحنا شائعا .

***

وفى نفس هذه اللحظة . . كان المسيو روفيه . . تاجر المجوهرات . . جالسا فى مكتبه القائم فى أقصى مخزنه الكبير . . وأمامه الطرد الصغير الذى أرسلة لوبين فى لفافة من الورق العادى . . البسيط .

ومد تاجر المجوهرات يده فى سرور بالغ . . ومزق الغلاف الخارجى . . وشاهد تحته صندوق صغير من الكرتون . . ما ان فتحه . . حتى ارتجف بدنه . . وجحظت عيناه . . وكاد يختنق وهو فى مكانه .

كان الصندوق خاليا . . إلا من ورقة صغيرة . . مكتوب عليها :

« نهارك سعيد يامسيو روفيه »

***

صعد الدم إلى رأس تاجر المجوهرات . . وأحس بما يشبه الدوار . . وكاد يلقى بأحد موظفيه إلى الخارج . . عندما دخل عليه يريد أن يحدثه فى بعض شئون المحل والزبائن .

ولكن مالبث أن تمالك نفسه . . ووضع رأسه بين يديه . . وأخذ يفكر .

***

وفى الساعة الحادية عشرة كان لوبين يقف فى مكان قريب من قصر الكونت دى جوفنيل .

وبعد وقت قصير أقبلت سيارة من سيارات البوليس نزل منها رجلان . . اتجها نحو باب القصر .

وتمهل لوبين قليلا . . ثم أشعل لفافة تبغ . . وسار بدوره نحو الداخل . . ودق الجرس . . ففتح له أحد الخدم .

قال بصوت مرتفع . . ولهجة آمرة :

- انى اريد التحدث إلى المفتش بيشو الذى دخل عندكم الآن .

فأحنى الخادم رأسه . . وأشار له بالدخول . . وقد ظن انه أحد رجال البوليس .

واتجه لوبين على الفور إلى غرفة الاستقبال .

كان يعلم أن الجميع لابد أن يكونوا فيها .

وبعد لحظات كان لوبين يوزع تحياته على أربعة أشخاص .

الكونت دى جوفنيل . . وزوجته « الكونتس » . . والمفتش بيشو . . ومساعده مسيو دوفال .

* * *

ولم يصدق بيشو عينيه عندما شاهد لوبين .

صاح بصوت يرتجف غضبا :

- أهـذا أنت يامسيو لاروش . . أو يامسيو بارنيت . . أو

يامسيو لوبين ..

كيف أتيت إلى هنا بكل جرأة واستهتار؟!

فأجاب لوبين في هدوء :

- جئت لأراك .. وأتمتع بوجهك الصبوح وسحنتك الجذابة !!

وهز بيشو رأسه .. وكأنه لا يصدق ما سمعه من كلمات لوبين .. ثم التفت إلى « الكونتس » .. وسألها :

- سيدتي الكونتس .. أهذا هو الرجل ؟

فأجابت الكونتس بلهجة جازمة :

- نعم .. انه هو بالتأكيد ..

فابتسم لوبين وقال :

- لابد انك مخطئة ياسيدتي .. فاني لم أرك قبل اليوم فهل لك أن تتكرمي بالافصاح عن التهمة التي تصرين على إلصاقها بي ؟

وغمز لها بعينه .. دون أن ينتبه أحد من الحاضرين

وفهمت من غمزته .. ومن نظراته نحو بيشو .. ما أراد أن يقوله لها .

فهمت أن بيشو لم يتذكر ملامحها « حتى الآن » .. وأن لوبين لو شاء أن ينشط ذاكرة المفتش .. وأن يذكر له اسمها الحقيقي وأن يفصح أمامه عن شخصيتها الأصلية .. اذن لوقع

لها مازلا تجمد عقبساه .. مما لا يتفق مع أغـراضهـا .. وأهدافها .. وأمانيها .

فهمت « الكونتس » كل ذلك .. وغلى الدم فى عروقها .. ولكنها لزمت الصمت رغم أنفها .. ولم تنطق بكلمة واحدة .

* * *

وتنهد المفتش بيشو . . وأمعن النظر إلى وجه لوبين . . محاولا أن يتغلغل إلى قرارة نفسه .

كان أدرى الناس بصديقه اللدود فى مثل هذه الأحوال .

كان على ثقة بأن لوبين . . هو لاروش .. أو جيمس بارنيت أو مارتن ديل . . وغير ذلك من الأسماء المستعارة .. ولكنه لم يكن يشعـر بهذه الثقة التامة حين ينفى لوبين أحد التهم عن نفسه .. لأنه فى نهاية الأمر يثبت أقواله . . ولا يبدو من الكاذبين ..

* * *

وهز المفتش بيشو رأسه عدة مرات . . ثم نظر إلى لوبين . . وقال له :

ـ انك متهم يا مسيو لاروش . . بانك سطوت فى فجر الليلة البـارحـة على مخدع الكونتس .. وسرقت « مجموعة مجوهرات جوفنيل » النادرة . . وقد اتصل بنا هذا الصباح تاجر مجوهرات يدعى « روفيه » . . وذكر لنا انك اتصلت به تليفونيا . . وسألته

إذا كان مستعدا لشراء مجموعة المجوهرات الثمينة . . فلما وافق ذهبت إليه . . وعرضتها عليه . . فاكتشف . . بعد فحصها . . انها « مجموعة مجوهرات جوفينيل » المشهورة . . وعندئذ اعتذر لك لعدم استطاعته شراءها . . ثم بادر بالاتصال بإدارة الأمن العام .

***

ضحك لوبين طويلا بعد أن سمع اتهام بيشو له . . ثم سأله :

ـ ما الذى تريد عمله الآن ؟

فأجاب بيشو فى بساطة :

ـ سوف ألقى القبض عليك طبعا . . ولكن ما الذى حملك على هذه الزيارة . . إذا لم تكن لك علاقة بهذه السرقة ؟

ـ بل لقد جئت لأقابلك بشأنها . . فانى أعرف الكثير عنها .

ـ وما الذى تعرفه ؟

ـ مهلا ياعزيزى بيشو . . سوف تعرف الحقيقة حالا . . ولكن لابد لى من معرفة من الذى وقع فى هذا الخطأ . . هل هى الكونتس ؟ أم هل هو المسيو روفيه . . تاجر المجوهرات ؟

وأمسك عن الكلام ليرى وقع كلامه على سامعيه . . ثم مضى يقول :

ـ هل تسمح لى بالاتصال بالمسيو روفيه . . لا ريب عندى

فى أنه أخطأ فى شخصية الرجل الذى التقى به هذا الصباح .

وهز بيشو كتفيه وقال :

ـ ان التليفـون فى الصـالـة . . ويمكنك أن تستعمله . . وسيلازمك مساعدى المسيو دوفال حتى تنتهى من حديثك .

***

سأل لوبين مساعد بيشو وهما فى طريقهما إلى التليفون عما إذا كان يعرف اللغة الانجليزية . . فلما أجابه بالنفى سر لوبين . . وابتسم ابتسامة ماكرة .

وما ان سمع صوت تاجر المجوهرات فى التليفون حتى بدأ يتحدث معه بالإنجليزية :

قال له بصوت ساخر :

ـ اصغ إلى ياروفيه . . واسمع جيدا ما سوف أقوله لك . . وإلا وضعتك أنت وصديقتك « الكونتس » فى موقف شديد التعقيد . . يصعب على الشيطان نفسه التخلص منه . لقد استمعت منك أول أمس إلى قصة طريفة خيل إليك اننى صدقتها . . واقتنعت بها . . ولكن الواقع غير ذلك . . والرأى عندى أن السبب الذى حملك أنت والكونتس على تنفيذ هذه الخطة . . هو رغبتكما فى الحصول على هذه الجواهر الغالية بدون ثمن مطلقا . . وبناء على هذا اتفقت ـ أنت والكونتس ـ على أن اتولى أنا سرقة المجوهرات . ثم أرسلها إليك مقابل ألف

فرنك . . وبذلك تستولى أنت عليها بسهولة . . ودون أن يعرف بأمرك أحد . . ثم تقول للبوليس . . بعد ذلك . . اننى قد اتصلت بك تليفونيا . . وعرضت عليك شراء « مجموعة المجوهرات » . . فعرفتنى من صوتى . . وأرشدتهم عنى فى الحال . . وبعد دقائق يقتحم رجال البوليس مسكنى . . فيجدون مائة ألف فرانك فى جيبى . . أو فى غرفتى . . ولكنهم لن يجدوا الجواهر بالطبع . . لأنك تكون قد تسلمتها منى . . وبذلك تنال الكونتس تعويضا مجزيا كجزء صغير من ثمن المجوهرات . . ويظن رجال البوليس اننى قد بعث المسروقات إلى شخص مجهول .

انها . . والحق يقال . . خطة محبوكة . . محكمة . . ولابد أنك قد اشتركت مع الكونتس فى أعمال نصب واحتيال عديدة قبل اليوم .

***

صاح تاجر المجوهرات عبر التليفون

ـ من أين تتكلم يالوبين ؟ وما الذى تهدف إليه من وراء هذه القصة الطريفة ؟

فقهقه لوبين ضاحكا . . وأجابه قائلا :

ـ انى أحدثك من قصر صديقتك الكونتس . . وقد قلت للمفتش بيشو انك ولا ريب وقعت فى خطأ بالغ . . فالتبس

عليك الأمر . . حين ذكرت اننى سبق أن حدثتك بأمر هذه المجـوهـرات . . وانـك بغير شك ـ ستبادر إلى تصحيح موقفى . . وتكذيب ما قلته عنى .

فصاح تاجر المجوهرات فى حدة :

ـ هل أنت مجنون ؟ أنت سارق الجواهر بالتأكيد . . وما من أحد يعرف أن المال الذى معك هو مالى . . ومن المؤكد أن إدارة الأمن العـام ستظن أن هذا المال هو ثمن الجواهر المباعة . . وأعتقد أن هذا سيكلفك عشر سنوات فى السجن .

فقال لوبين وهو ما يزال يضحك ساخرا :

ـ اسمع ياروفيه . . إذا لم تنفذ ما سوف أقوله لك . . فسوف تكون أنت والكونتس موضع اتهام البوليس بعد نصف ساعة فقط .

فهتف تاجر المجوهرات هازئا :

ـ وكيف تستطيع ذلك بحق السماء ؟

فاجابه لوبين فى لهجة جادة . . هادئة :

ـ لقد ارتبت فى حديثك . . وشعرت بالشك فى نواياك عقب لقـائى معـك ليلة أمس . . فلما سرقت الجـواهر . . وهممت بمغادرة الغرفة لاحظت أن أهداب الكونتس كانت تتحرك . . فأيقنت انها ليست نائمـة . . وانها تراقبنى . . فتـظاهـرت بالانصراف . . ثم عدت مرة أخـرى فراقبـتهـا من خلال

الستائر . . فشاهدتها تغادر الفراش . . بعد ذهابى . . وتتقدم نحو المنضدة . . وتفتح الدرج . . وتستخرج الصندوق . . ثم تعيده إلى مكانه وهى ضاحكة الوجه . . باسمة الثغر . . وأخيرا عادت إلى فراشها . . واستسلمت لنوم عميق . . هل تسمعنى ياروفيه ؟

ـ نعم . . انى مصغ إليك أيها الوغد .

فقهقه لوبين . . واستطرد موضحا :

ـ وقد لزمت مكانى فى الشرفة أراقب الكونتس . . ولم أبرحها إلا بعد ساعة من الزمن . . فلما تأكدت من انها استغرقت فى النوم . . عدت إلى مخدعها . . وأخفيت الجواهر فى لفافة وضعتها فى دولاب ملابسها . . ومازال الجواهر فى غرفتها حتى الآن . . ولكنها تجهل ذلك بالطبع .

صاح روفيه مذعورا :

ـ ياإلهى .

وأردف لوبين ساخرا :

ـ إذا لم تنفذ مطالبى . . ففى مقدورى أن أطلب من رجال البوليس تفتيش الغرفة . . ولسوف يتم اكتشاف الجواهر بين ثيابها . . بين ثياب صديقتك وشريكتك ذات التاريخ الحافل فى النصب والاحتيال . . ستكون فضيحة الموسم ياعزيزى روفيه . . وسيعرف الجميع ـ وخصوصا رجال البوليس ـ أن

الكونتس الحسناء قد سرقت جواهرها . . وأخفتها . . واتهمت شخصا غريبا عنها بالسطو عليها . . بعد اتفاقها معك كشريك لها فى هذه المهمة غير الشريفة .

ولا أظن بعد هذا إلا أن يلقى البوليس القبض عليك أنت وشريكتك . . وفى هذه الحالة سوف أدفع بدورى دعوى عليك . . وعليها . . مطالبا بتعويض جسيم مقابل اتهامى . . وتشويه سمعتى .

***

سمع لوبين تنهدات وزفرات تاجر المجوهرات تنبعث من سماعة التليفون جلية . . واضحة . . فابتسم ساخرا .

وبعد لحظة صمت قصيرة قال روفيه فى تخاذل وانهيار :

ـ حسنا . . سوف أحضر حالا إلى منزل الكونتس . . وسوف أتحدث إلى الكونتس بالأمر أيضا . . وأطلعها على الحقيقة . . ولكن متى سترد المائة ألف فرنك التى أخذتها منى ؟

فقال لوبين فى دهشة بالغة . . واستنكار شديد :

ـ عجبا . . لم أكن أعلم بوقاحتك من قبل . . أى مائة ألف فرنك أيها الرجل . . اننى لا أذكر انك أعطيتنى شيئا على الاطلاق !!

وحذار أن يفهم المفتش بيشو شيئا من ذلك . . حتى لا تفضح نفسك . . فتسوء العاقبة . . وتدفع الثمن غاليا

فصاح تاجر المجوهرات بحنق بالغ وهو يكاد ينفجر غضبا :

ـ حسنا أيها الوغد . . حسنا . . ان الغلطة غلطتى . . وقد كان من الواجب على أن أكون أكثر حرصا وحذرا مع أمثالك من المحتالين .

ووضع سماعة التليفون وهو يرتجف انفعالا . . ورنين ضحكة لوبين الساخرة لا يزال يتغلغل فى أذنه .

« تمت »



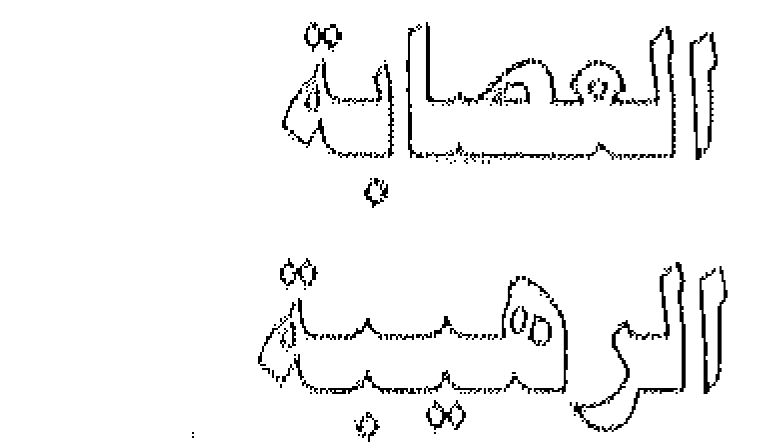
مغامرات ارسين لوبين

هذه الرواية

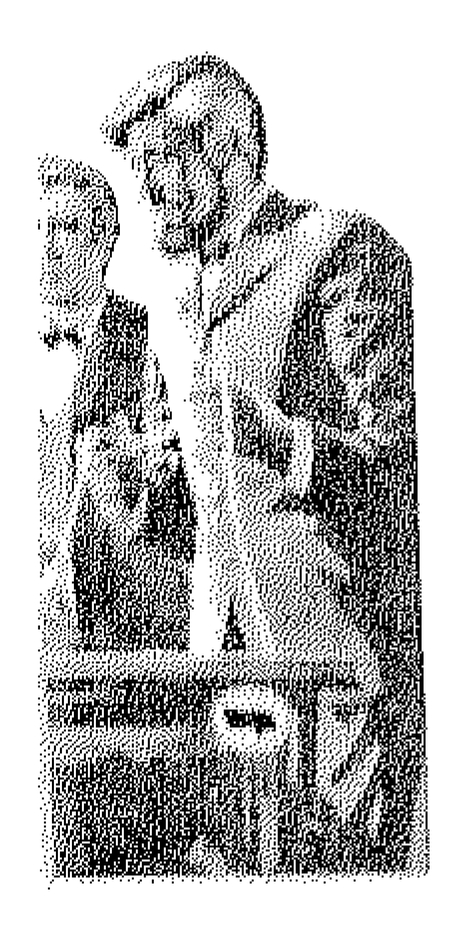


الخدعة الشيطانية

كانت الخطة فى منتهى الاحكام .. تخطيط بارع .. وتدبير رائع .. ومواجهة لكل الاحتمالات .. ونجاح مؤكد .. مضمون .. مافى ذلك شك .. لولا خدعة شيطانية .. ابتكرتها عقلية امرأة وافرة الجمال .. شديدة الذكاء .. بالغة الدهاء .. متعددة الشخصيات .. لاتتورع من تحدى الجميع .. حتى ارسين لوبين !!



العصابة الرهيبة



كان الجميع يخشون رئيس العصابة المعروف باسمه « وحش شيكاغو » أو « الوحش الدموى » .. فهو أخطر من الثعبان .. وأشد فتكا من العقرب .

وشاءت الأقدار أن يعرف لوبين ان هذا المجرم الخطير يهدد حياة احدى صديقاته .. فتصدى له .. وصمم على القضاء عليه .

وكان صراعا حتى الموت .

